

صفات أهل الجنة

٦ ـ الاستجابة لله ولرسوله ﷺ

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الخامسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**التقوى**»؛ وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة في هذه الدنيا كانوا لا همَّ لهم إلا أن يتزودوا بزاد التقوى، لأنهم قد علموا أن التقوى هي زادهم إلى الدار الآخرة، وقلنا: إنه يجب على العاقل في هذه الدنيا أن يتزود بزاد التقوى وهو في دار العمل لأن الموت يأتي بغتة ولأن العمر قصير.

تزودْ منَ التقوى فإنكَ لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ

فكم من صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علةٍ ... وكم منْ عليلٍ عاشَ حيناً من الدهرِ

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السادسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الاستجابة لله ولرسوله ﷺ»**.

عبادَ الله! أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا أمرهم الله ﷻ أو نهاهم استجابوا، وقالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا أمرهم رسول الله ﷺ أو نهاهم استجابوا، وقالوا: سمعنا وأطعنا، ولما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ـ أي: الجنة [الرعد: ١٨].

وقال تعالى مبيناً أن من أطاعه وأطاع رسوله دخل الجنة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

ويقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[1].

عباد الله! وفي المقابل يبين لنا ربنا جل وعلا أن الذين لم يستجيبوا له، ولم يستجيبوا لرسوله ﷺ هم من شرار الخلق، ومصيرهم إلى النار، قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣] ويقول الله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

عباد الله! آيات بينات من كتاب ربنا تبين أن جزاء الذين استجابوا لربهم الحسنى أي: الجنة، وأن الذين لم يستجيبوا له لو أنهم امتلكوا مِلْءَ الأرض ومثلها معها يوم القيامة ذهباً وأرادوا أن يفتدوا بذلك كله من عذاب الله ما تُقُبِّلَ منهم وكان مصيرهم إلى النار.

عباد الله! والسؤال المهم الذي يحتاج إلى جوابٍ هو:

لماذا كان أهل الجنة في الدنيا يستجيبون لله وللرسول؟

أولاً: لأنهم آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيناً ورسولاً، ومن صفات المؤمنين الصادقين أنهم إذا أمرهم الله قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا أمرهم رسول الله قالوا: سمعنا وأطعنا، كما وصفهم ربنا في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثانياً: استجابوا لله ولرسوله؛ لأن الله أمرهم بذلك في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

ورسولنا ﷺ كان يربي أصحابه على السمع والطاعة لله ولرسوله، فتعلموا يا أمة الإسلام لأن السمع والطاعة من صفات المؤمنين، وعدم السمع والطاعة من صفات اليهود والنصارى، فالذين قالوا: سمعنا وعصينا هم اليهود والنصارى، أما الذين قالوا: سمعنا وأطعنا فهم المؤمنون، فعيب عليك أيها المؤمن أن تستمع لأمر الله وأمر رسوله ثم تغدو وكأنك لم تسمع، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (لما أُنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]،

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قال: فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب فقالوا: أيْ رسولَ الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابيْن من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم. أنزل الله ﷻ في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: نعم، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ قال: نعم)[1] [البقرة: ٢٨٦].

فانظروا عباد الله متى نزل الفَرَج؟ ومتى نزل التيسير؟ بعد أن قالوا: سمعنا وأطعنا، فوالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه هذا هو الذي ينقصنا اليوم يا معشر المسلمين، فإننا إذا قلنا لله ورسوله: سمعنا وأطعنا في كل ما أُمرنا تغيرت أحوالنا، وتبدلت أحوالنا وتغير هذا الوضع الذي نحن فيه، ولكن إذا سمعنا (قال الله) و(قال رسول الله) وكأننا لم نسمع ثم تولينا كالذين يسمعون وهم لا يسمعون فحالنا هذا لن يتغير.

عباد الله! لقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على السمع والطاعة، وقد ضربوا لنا مثلاً أعلى في السمع والطاعة لله ولرسوله وبالمثال يتضح البيان:

وإليكم هذه الأمثلة التي تبين الفرق بيننا وبين الصحابة، وكيف أنهم كانوا يستجيبون لله ولرسوله، ونحن اليوم لا نستجب لله ولا لرسوله ـ إلا من رحم ربي.

---

(١) **صحيح**: م: (١٢٥).

المثال الأول: عندما حرم الله الخمر، وكان من الصحابة من يشربها ويدمن عليها، ولكن عندما نزلت الآية التي حرم الله فيها الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩٢]، لما نزلت هذه الآيات التي تحرم الخمر تحريماً أبدياً، أرسل رسول الله ﷺ منادياً ينادي في شوارع المدينة: ألا إن الخمر قد حرمت: فماذا كان من الصحابة؟ أقالوا: بعد قليل نتركها، أقالوا: لقد أدمنا عليها فكيف نتركها، أقالوا: غداً نتركها، لا والله يا عباد الله ما كان منهم إلا أن قالوا: انتهينا ربنا انتهينا.

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟! قال: فخرجت، فقلت: هو منادٍ ينادي ألا إن الخمر قد حرمت. فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة)[١] نعم، أراقوها في شوارع المدينة طاعة لله ولرسوله!

الله أكبر هكذا يفعل مَنْ تربىٰ في مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ، الذين تربوا على مائدة القرآن والتوحيد، وتربوا على السمع والطاعة لله ولرسوله، أما كثير منا اليوم ممن تربوا على السمع والطاعة للسادة والكبراء، فحالهم ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧].

عباد الله! **مثال ثان** على السمع والطاعة عند الصحابة لنتعلم من صحابة رسول الله كيف كانوا في استجابتهم لله ولرسوله.

● لقد حرم الله على المؤمنات التبرج، ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٣٤٤)، م: (١٩٨٠).

ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وأمر النساء بالحجاب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، تلاها على الرجال في المسجد فسمعها الرجال، وانطلق كل منهم إلى بيته يتلوها على زوجته وابنته وأخته وأمه، فقامت كل امرأة إلى مرطها فشقته وغطت رأسها ووجهها فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها)[1].

عباد الله! كم سمعتم عن الحجاب؟ لكن ما هذا العري والسفور والتبرج الذي يخرج من بيوت المسلمين؟!

ابن آدم! لا تقل هذا الكلام ليس لي! بل هو لكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر، فلعلنا نتساءل! صاحبة (الفيزون والشورت) التي باعت لحمها في الشوارع، من أي البيوت تخرج؟ أمن بيوت اليهود والنصارى، أم من بيوت المسلمين؟ يا أيها المصلي يا من تأتي إلى الجمعة وتسمع المواعظ، تسمع أم أنك لا تسمع؟ أم أنك تسمع وكأنك لا تسمع؟ ألهذا الحد ضاعت الشهامة والرجولة؟ ألهذا الحد وصلنا وضاعت منا الغيرة؟ ألهذا الحد وصلنا وضاع الإسلام من قلوبنا؟ حتى أصبح أرخص لحم يباع في الشوارع هو لحم النساء! عبادَ الله ما كان من الصحابة إلَّا أن سمعوا الآية حتى ذهب كل رجل إلى بيته يتلو على نسائه الآية، فما كان من كل امرأة منهن إلا أن قامت إلى مرطها فشقته فغطت وجهها ورأسها طاعة لله وطاعة لرسول الله ﷺ.

أيها المفرط في عرضك ستندم، فإن العرض لا يباع! المسلم العاقل الشريف يفرط في ماله وفي صحته وفي وظيفته ولا يفرط في عرضه، فيا من باعوا أعراضهم من أجل الأموال! يا من أصبحوا لا يستطيعون السيطرة على نسائهم أنسيتم أنَّ القوامة للرجل؟! الرجل هو الرجل في بيته، الرجل هو الذي يستر عرضه، فها هم الصحابة فلنتشبه بهم فالتشبه

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٨٠).

بالكرام فلاح، أما عندما تشبهنا بدول الغرب، وألبسنا نساءنا مثل نساء الغرب، فهذا حالنا: البلاء يصب على رؤوسنا، والضنك يدخل في بيوتنا ولا نعرف طعم السعادة، لأننا لا نستجيب لله ولا لرسوله.

مثال ثالث: في الإنفاق في سبيل الله، فلما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، بادر الصحابة رضي الله عنهم إلى العمل بهذه الآية.

ولقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وأن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برّها وذُخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبو طلحة: أَفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)[(١)]، أما نحن اليوم فإن أحدنا لا يترك المحل استجابة لداعي الله للصلاة! لقد ضرب الصحابة مثلاً أعلى في الاستجابة لله ولرسوله، والجنة ما أعدت إلا لأمثال هؤلاء الذين إذا سمعوا أن الله حرم الربا تركوا الربا، الذين إذا سمعوا أن الله حرم الغيبة والنميمة تركوا الغيبة والنميمة لمثل هؤلاء أعد الله الجنة.

ثالثاً: كان أهل الجنة في هذه الدنيا يستجيبون لله ولرسوله لأنهم يريدون باستجابتهم تلك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة والنجاة من الفتن، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٩٢)، م: (٩٩٨).

يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

رابعاً: استجابوا لله وللرسول ليتحصلوا على رحمة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فيا أمة الإسلام! استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، استجيبوا لربكم واتركوا الربا، استجيبوا لربكم واتركوا الخمر، استجيبوا لربكم واتركوا التبرج، استجيبوا لربكم واتركوا المعاصي، حتى تفوزوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض، فماذا تنتظرون يا عباد الله هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر.

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها أنهم كانوا يستجيبون لله ولرسوله إذا دعاهم لما يحييهم.

عباد الله! والذي يمنع من الاستجابة للهِ ولرسوله ﷺ:

أولاً: الهوى، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، الذين يسمعون وكأنهم لا يسمعون، الذين يسمعون مراراً وتكراراً عن الربا مثلاً ولا يستجيبون ما منعهم إلَّا الهوى.

ثانياً: الشيطان، فإن من لم يستجب لله ولرسوله فسيستجيب للشيطان رغماً عن أنفه، قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عباد الله! بصدق انظروا معي إلى جُل المسلمين اليوم، الله ﷻ يأمر

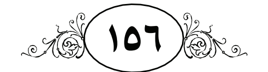
بالحجاب، والشيطان يأمر بالتبرج لمن استجابت النساء؟ انظروا إلى شوارع المسلمين، الله ﷿ يأمر بأكل الحلال والشيطان يأمر بأكل الحرام، لمن استجاب الناس؟ الله ﷿ يأمر بالطاعة والشيطان يأمر بالمعصية، لمن استجاب الناس؟ فما علينا اليوم إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٥، ٦].

ابن آدم! بعد أن أخبرك الله في كتابه أنَّ الشيطان لك عدوٌ، فهل ستذهب وتتخذه ولياً من دون الله؟ قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه





صفات أهل الجنة

٧ ـ الوفاء بالوعد

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة السادسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الاستجابة لله ولرسوله**» وعلمنا أنهم كان دائماً لسان حالهم سمعنا وأطعنا.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الوفاء بالوعد».

عباد الله! أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يوفون بالوعود والعهود والعقود.

وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يفعلون ما أمرهم الله ورسوله به، وكانوا لا يغدرون ولا يخونون العهود والمواثيق، لقد أوفوا بعهدهم مع الله، وأوفوا بعهدهم مع رسول الله، وأوفوا بوعدهم مع الناس، ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض، يخبرنا بذلك ربنا في كتابه فيقول الله ﷻ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ الذين من صفاتهم ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! هذه صفات عظيمة لأهل الجنة منها: «الذين يوفون

بعهد الله ولا ينقضون الميثاق»، والله ﷻ يبين مصير هؤلاء في آخر الآيات فيقول: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤].

ويقول الله ﷻ مبيناً أن الوفاء بالعهد سبب لدخول الجنة وسكنى الفردوس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ ـ إلى أن قال رب العزة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

وفي المقابل يا عباد الله، أخبرنا ربنا جل وعلا أن الذين ينقضون العهود والمواثيق ملعونين في هذه الدنيا، ومصيرهم إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

عباد الله! إن الوفاء بالعهود سبب لدخول الجنة.

والسؤال الذي يحتاج إلى جوابٍ هو:

لماذا أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يوفون بالعهود والوعود؟

أولاً: لأن الله أمرهم بالوفاء بالعهد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] أي: بالعهود، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ثانياً: لأنهم علموا بأن الله ﷻ أثنى على الذين أوفوا بالعهود في هذه الدنيا ومدحهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وبالمثال يتضح البيان:

فهذا صحابي جليل يضرب لنا أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد مع الله، عن أنس رضي الله عنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدرٍ فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية)[1]. صدق بوعده، صدق بعهده مع الله، وأبلى بلاءً حسناً في المعركة ونال الشهادة.

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهد؛ لأن وفاء العهد من البر، والبر: اسم جامع لما يحبه الله من الأعمال والأقوال، وهو سبب مُوصِلٌ إلى التقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

رابعاً: أهل الجنة أوفوا بالعهود وهم في دار الدنيا؛ لأن الله عز وجل نهاهم عن نقض العهود، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٥١)، م: (١٩٠٣).

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧]، فالويل لك أيها الناقض للعهد! الويل لك أيها الناقض للميثاق! الويل لك أيها الخائن! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥].

خامساً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهد في الدنيا وهم في دار العمل؛ لأن نقض العهد من صفات ومن شيم المنافقين، قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧]، ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»[1]، وفي مسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[2].

إخوة الإسلام! احذروا أن يكون فيكم من يتصف بنقض العهود والمواثيق فإن ذلك من شيم المنافقين، وليس من شيم وأخلاق المؤمنين، وليس من شيم أهل الجنة، يقول ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»[3].

عباد الله! إن أهل الجنة كانوا لا يغدرون، بينما المنافقون هم الذين يغدرون وقد غدروا على عهد رسول الله ﷺ ولا يزالون يغدرون حتى هذا الوقت وإلى يوم القيامة، فالمنافق يغدر ويخون العهد والميثاق، أما الذين آمنوا ورضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً فإنهم لا يغدرون.

سادساً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهود والعقود؛ لأنهم علموا بأن

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩). (٢) **صحيح**: م: (٥٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).

نقض العهود من صفات ومن شيم الكفار ومن أخلاق اليهود، فاليهود هم الذين يغدرون، فإنهم ما عاهدوا عهداً إلا غدروا وما أُخذ عليهم ميثاق إلا نقضوه. يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٥٨].

سابعاً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهود والعقود؛ لأنهم علموا أن الذي ينقض العهد والميثاق لا دين له، يقول ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(١)، فمن كان له دين كان له عهد، ومن لا دين له فلا عهد له، واذهبوا عباد الله إلى المحاكم والسجون وانظروا فلقد امتلأت السجون بالمساجين والسبب قلة الدين لأنهم نقضوا العهود والمواثيق، إنهم نقضوا العهد مع الله ومع رسول الله ومع الناس، فكان مصيرهم أن لعنهم الله وغضب عليهم فسكنوا السجون في الدنيا وسيسكنون جهنم يوم القيامة.

ثامناً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهد؛ لأنهم علموا أن الوفاء بالعهد سبب لدخول الجنة، وبذلك نالوها، فمن أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، يقول ﷺ: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٢).

أيها المؤمن! تذكر أن المؤمن قد يكون جباناً! والمؤمن قد يكون بخيلاً! لكن المؤمن لا يكون كذاباً أبداً.

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ١٣٥)، حب: (١٩٤)، طس: (٣/ ٩٨)، ع: (٥/ ٢٤٦)، ش: (٦/ ١٦٨)، هب؛ (٤/ ٧٨)، [«ص. ج» (٧١٧٩)].

(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٣٢٣)، حب: (٢٧١)، ك: (٤/ ٣٩٩)، هب: (٤/ ٢٠٥)، هق: (٦/ ٢٨٨)، [«ص. ج» (١٠١٨)].

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها الوفاء بالعهد، وإذا نظرنا في هذا الزمان العجيب إلى كثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ وجدناهم وقد نقضوا العهد مع الله ومع رسول الله ومع الناس.

● فالله ﷻ عهد إلينا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً، فكم من الناس نقض هذا العهد وعبد غير الله وأشرك في عبادة الله؟! الكثير.

● عهد الله إلينا ألا نتبع الشيطان، وعهد إلينا ألا نعبد الشيطان، وبين لنا أن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٥، ٦]. ومع ذلك فإن الكثير من الناس قد نقض العهد، وسلك سبيل الشيطان، ويوم القيامة يقول الله ﷻ موبخاً لهؤلاء: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢].

● عهد الله إلينا في كتابه ألا نأكل الربا ولا نشرب الخمر، فكم من الناس من نقض هذا العهد؟! يا آكل الربا أنت ناقضٌ للعهد مع الله، ويا شارب الخمر أنت ناقض للعهد مع الله، أيتها المرأة المتبرجة لقد نقضت العهد مع الله، أيها المغتاب والنمام والكاذب لقد نقضتم العهد مع الله.

● وقد عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نتبع سنته، وأن نسلك سبيله، فقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ**»[1]، وقال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، [«ص. غ. هـ» (٣٧)].

النار إلا ملة واحدة» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)]، ومع ذلك فالكثير من الناس نقضوا العهود والمواثيق مع رسول الله، واتبعوا سبلاً سلكوها خلف الشيطان.

• عهد إلينا رسول الله ﷺ ألا نبتدع في الدين، ومع ذلك ابتدعنا في الدين قال ﷺ: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[(٢)].

• عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نطيعه ولا نعصيه، فقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[(٣)].

فكم من المسلمين أبى وخان العهد مع رسول الله؟

أما نقض العهود مع الناس فقل وحدِّث عن ذلك ولا حرج، فغالب الناس قد نقضوا العهود والمواثيق، حتى لقد أصبحت لا تسمع في العشيرة ولا في القرية إلا عن رجل واحد هو الذي يوفي العهد يبتغي بذلك وجه الله، ففي هذا العصر العجيب أصبح التاجر البارع اليوم بين الناس هو الذي يكتب (الشيكات) وينقض العهد، والبارع هو الذي يبيع ولا يوفي ويشتري ولا يوفِي، فحاله كذب وافتراء على الناس، حتى إذا مر تاجر صادق ضحك عليه بعضهم واتهموه بالشذوذ والجنون لأنه يتقي الله ﷻ، لقد أصبح الحرام هو ما أحله الله! وأصبح الحلال عند الناس هو ما حرمه الله ﷻ! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

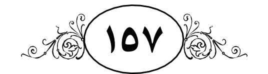
اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص. ج» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: ن: (١٥٧٨)، خز: (١٧٨٥)، حل: (٣/ ١٨٩)، [«ص. ج» (١٣٥٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).



صفات أهل الجنة

٨ ـ صلة الرحم

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة السابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الوفاء بالوعد**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا في دار العمل يوفون بعهدهم مع الله ويوفون بعهدهم مع رسول الله، ويوفون بعهدهم مع الناس ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثامنة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «صلة الرحم».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في الدنيا في دار العمل كانوا يصلون أرحامهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٤]، آيات بينات يصف لنا ربنا فيها أهل الجنة ويذكر من صفاتهم أنهم كانوا في هذه الدنيا في دار العمل يصلون ما أمر الله به أن يوصل، فكانوا يصلون أرحامهم.

عباد الله! والسؤال الذي نجيب عنه الآن هو:

لماذا أهل الجنة وهم في الدنيا في دار العمل كانوا يصلون أرحامهم؟

الجواب أولاً: لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا بد أن يصل رحمه، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**»[١]، ويقول رب العزة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ثانياً: لأن الله أمرهم بذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

ويقول أبو ذر رضي الله عنه: (أوصاني خليلي ﷺ بسبع ـ وذكر منها ـ: وأن أصل رحمي وإن جفاني)[٢]، ويقول ﷺ آمراً بصلة الأرحام: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٣].

ثالثاً: لأنهم علموا أن صلة الرحم تزيد في الرزق، وأنها سبب لطول العمر. يقول ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رَحِمَهُ**»[٤].

رابعاً: لأنهم يخافون سوء الحساب يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾. فالواصل للرحم يخاف من سوء الحساب يوم القيامة، والقاطع للرحم يا ويله في الدنيا قبل يوم القيامة؛ فالله سائلنا يوم القيامة عن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٨٧).

(٢) **صحيح**: حب: (٤٤٩)، طب: (٢/١٥٦)، هب: (٦/٩٣)، [«ص. غ. هـ» (٨١١)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٤/١٧٦)، ش: (٥/٢١٧)، هب: (٦/٤٢٤)، [«ص. ج» (٧٨٦٥)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٤٠)، م: (٢٥٥٧).

أرحامنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

يا قاطع الرحم اتقِ الله، واعلم أن «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**»[١].

خامساً: لأنهم قد علموا أن صلة الأرحام سبب لسكنى الجنة، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال ﷺ: «**تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[٢]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[٣].

سادساً: لأنهم علموا بأن الله تعالى تكفل للرحم بأن من وصلها وصله ومن قطعها قطعه، يقول ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعهُ الله**»[٤]. ويقول ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلكِ وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأوا إن شئتم:** ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾»[٥] [محمد: ٢٢ ـ ٢٤].

فاعلم أيها الواصل للرحم أنك موصول إلى كل خير، واعلم أيها القاطع للرحم أنك مقطوع عن كل خير.

ولعلنا نرى من آثار هذه القطيعة على القاطع للرحم ما فيه العجب

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٥٥).
(٢) **صحيح**: خ: (١٣٣٢)، م: (١٣).
(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣١٦.
(٤) **صحيح**: م: (٢٥٥٥).
(٥) **صحيح**: خ: (٤٥٥٢)، م: (٢٥٥٤).

في الدنيا قبل الآخرة، فلعلنا نرى فقراً، دماراً، ضنكاً في المعيشة، وتراه لا يعرف طعم الحياة، هذا كله نراه بأُم أعيننا في العاق لوالديه وفي قاطع الرحم.

سابعاً: أهل الجنة يصلون أرحامهم؛ لأنهم علموا أن قاطع الرحم ملعون، يقول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

ثامناً: أهل الجنة يصلون أرحامهم؛ لأنهم علموا أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(١) يعني قاطع رحم.

عباد الله! اتقوا الله في أرحامكم، وإياكم والقطيعة، وأعظم القطيعة يا عباد الله قطيعة الوالدين، يقول الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، أحب الأعمال إلى الله بعد عبادته هي بر الوالدين.

عباد الله! إن عقوق الوالدين من الكبائر، يقول ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين... ...**»(٢)، ويقول ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يَسُبُّ الرجُلُ أبا الرجل فيسُبُ أباه، ويَسُبُ أُمه فَيَسُبّ أُمه**»(٣).

عباد الله! فما الذي نراه في هذا الزمان العجيب؟! الصحابة حين تعجبوا من رجل يشتم أباه بيّن لهم الرسول ﷺ أن هذا لا يكون، وإنما

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٣٨)، م: (٢٥٥٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٢٨)، م: (٩٠).

يسب أحدهم أبا الرجل فيسب أباه، أما أن يسب الرجل أباه مباشرة في وجهه، فلا؛ لأن المسلم قد قال الله له: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فما بالنا بهذا الزمن العجيب وبالذي نسمعه يا عباد الله، أيعقل هذا من مؤمن؟ أيُعقل هذا من إنسان آمن بالله واليوم الآخر، فهذا يغضب في وجه والديه، وهذا يشتم والديه مباشرة، وهذا يتهم والديه بالجنون، وأما هذا فيضرب والديه، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل هناك من يقتل والديه!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! إياكم والقطيعة، وأعظم القطيعة قطيعة الوالدين، ويا ويلك يا من عققت والديك، والله لقد فاتك أجر عظيم، لقد ارتكبت جرماً كبيراً، ويا ويلك في الدنيا قبل الآخرة، واعلم أنك كما تدين تدان وكما تفعل في والديك وفي أرحامك فسيُفعل بك قبل الموت.

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها أنهم يصلون أرحامهم، وها قد عرفتم لماذا كانوا يصلون أرحامهم.

عباد الله! اعلموا أن صلة الأرحام قربة يتقرب بها العبد إلى ربه، واعلموا أن صلة الأرحام واجبة على كل مسلم، وإذا نظرنا في هذا الزمن العجيب إلى كثير من الناس رأيناهم لا يصلون أرحامهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٣]، وهناك من الناس مَنْ لا يصلون أرحامهم إلا إذا وصلوهم وهذه ليست بصلة إنما هذه مكافأةٌ فمن أحسن إليك أحسنت إليه، ولكن الصلة هي أن تصل من قطعوك يقول ﷺ: **«ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمُهُ وصلها»**(١)، هذا هو الواصل الحقيقي الذي إذا قطعته رحمه وصلها: أي إذا قطعوك وصلتهم وإذا أساءوا إليك أحسنت إليهم، فكم من الناس من

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٤٥).

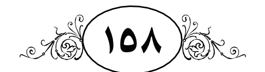
قطع أباه وأمه وقطع رحمه لأنهم لا يصلونه! ويبين لنا رسول الله ﷺ ذلك حين جاءه رجل فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»(١).

عباد الله! اعلموا أن صلة الأرحام واجبة عليكم وأنها قربة منكم إلى ربكم وأنكم بها تدخلون الجنة.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



(١) **صحيح**: م: (٢٥٥٨).



صفات أهل الجنة

٩ ـ الصَّبـر

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الثامنة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**صلة الأرحام**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا يصلون أرحامهم لأنهم قد علموا أن صلة الأرحام توصل إلى رضا الله والجنة، وتبين لنا أن قطيعة الرحم توصل إلى غضب الله والنار.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة التاسعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الصبر».**

عباد الله! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يصبرون على طاعة الله، ويصبرون عن معصية الله، ويصبرون على الابتلاء والمحن.

فالإنسان في هذه الدنيا خلق لعبادة الله، فإذا أمر الله بالصلاة صبر أهل الجنة على الصلاة حتى أتاهم اليقين، وإذا أمرهم بالصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صبروا على ذلك حتى أتاهم اليقين، وإذا نهاهم الله ﷻ عن المعاصي وارتكاب المحرمات ابتعدوا عنها وصبروا عنها ابتغاء وجه ربهم، وكذلك إذا ابتلوا في هذه الدنيا في أموالهم أو في أجسادهم أو أولادهم صبروا على ذلك، ولذلك وصف الله عباده أهل الجنة بأنهم كانوا يصبرون ابتغاء وجه ربهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

عباد الله! **والسؤال المهم الذي نجيبُ عليه الآن هو:**

لماذا أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل كانوا يصبرون ابتغاء وجه ربهم؟

الجواب أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالصبر في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولأن الرسول ﷺ أمرهم بالصبر في سنته.

• مر ﷺ على امرأة وهي تبكي عند قبر فقال ﷺ آمراً إياها: «**اتقي الله واصبري**»(١).

• وقال ﷺ لأصحابه يوماً: «**فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(٢).

• وأرسل ﷺ إلى ابنته يعزيها ويقول لها ﷺ: «**إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمَّى، فلتصبر ولتحتسب**»(٣).

فالله أمر عباده بالصبر، والرسول ﷺ أمر أمته بالصبر، ولأجل هذا فأهل الجنة استجابوا لله وللرسول فصبروا حتى أتاهم اليقين.

ثانياً: أهل الجنة في هذه الدنيا وهم في دار العمل صبروا؛ لأنهم علموا أن الخير كله في الصبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٨]، وها هم أهل العلم

---

(١) **صحيح**: خ: (١١٩٤)، م: (٩٢٦).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٥٨١)، م: (١٨٤٥).
(٣) **صحيح**: خ: (١٢٢٤)، م: (٩٢٣).

يقولون لأهل الدنيا الذين قالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾، قالوا لهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

ويقول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمرهُ كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[١]، ويقول ﷺ: «**.. ومن يتصبر يصبرهُ الله، وما أُعْطِي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»[٢].

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل صبروا؛ لأنهم علموا أن عاقبة الصبر هي التمكين والنصر على الأعداء، ولذلك ضرب لنا ربنا جل وعلا مثلاً في كتابه بيوسف عليه السلام حيث صبر على الابتلاء من إخوته عندما وضعوه في البئر، وصبر على الابتلاء وهو يرى نفسه يباع بثمن بخس دراهم معدودة، وصبر على الابتلاء في السجن، ومع ذلك خرج من السجن حفيظاً على خزائن بلاد مصر، ولذلك لما دخل عليه إخوته قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٨٩، ٩٠] فمكنه الله في الأرض لأنه صبر.

وقال رسولنا ﷺ لابن عباس: «**يا غلام... واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[٣].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).

(٣) [«رياض الصالحين»/ تحقيق الشيخ الألباني رحمه الله تحت الحديث رقم (٦٣)].

يا دعاة الإسلام، ويا معشر المسلمين، النصر يكون مع الصبر ولا يكون مع التهور والاستعجال، فها هو خباب بن الأرت يقول يوماً لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟! فيقول ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(١).

فالصَّبرَ الصبرَ يا دعاة الإسلام، كفانا استعجالاً، كفانا عاطفة هدّامة، فكم من دعاة الاستعجال قد ورّطوا الشباب؟ ودعوا الشباب إلى طرق مسدودة وملئوا السجون بالشباب، ووضعوا الشباب في ابتلاء لا يقدرون عليه، فهؤلاء الدعاة لم يصبروا كما أمرهم الله، ولم يصبروا كما أمرهم رسول الله، أما يقرأون القرآن، والله ﷻ في كتابه يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويقول له في موضع آخر: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤]، ويقول له في موضع ثالث: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم ٤٨]، ويقول له أيضاً: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

فيا معشر المسلمين، النصر على الأعداء يكون بالصبر، والتمكين في الأرض يكون بالصبر، أما الاستعجال فإنه قطفٌ للثمار قبل نضجها، وتضييعٌ للجهود والأوقات، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وانظروا إلى البلاد التي استعجلت النصر على الأعداء ـ بعاطفتها ـ فقد ضيعوا الشباب، وضيعوا الدعوة إلى الله، وضيعوا الأمة بسبب أنهم لم يصبروا، ولو أنهم أخذوا بنصيحة رسول الله ﷺ عندما قال لخباب: «**ولكنكم تستعجلون**»، ما أصابهم ما أصابهم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

خامساً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل صبروا، ليتحصلوا على محبة الله، وليتحصلوا على معية الله، فالله ﷻ يحب الصابرين، وهو ﷻ مع الصابرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فإذا كان الله معنا، وإذا أحبنا الله لأننا صبرنا فالله ينصرنا لأن النصر من عند الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

سادساً: لينجُّوا بأنفسهم من الخسران المبين؛ لأن الله ﷻ كتب الخسران على جنس بني آدم واستثنى من ذلك أربعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

فالذين نجوا من الخسران هم الذين آمنوا بالله، وعملوا، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر وصبروا على ذلك، ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

- فإن نجوا من الخسران المبين نالوا الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

سابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل صبروا، لينالوا ويتحصلوا على الإمامة في الدين، والإمامة في الدين أن تكون إماماً للناس في كل خير وهذه مرتبة دينية عظيمة لا ينالها إلا العلماء، الصابرون، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فكم من الناس بدأ في دروس العلم ثم تركها لأنه لم يصبر؟! كم

من الناس من بدأ في حفظ القرآن لكنه تركه لأنه لم يصبر؟ كم من الناس من كان يصلي ثم ترك الصلاة لأنه لم يصبر؟ كم من الناس كان يأكل الحلال ثم تركه وأكل الحرام لأنه لم يصبر؟ فإن أردت أن تكون إماماً يقتدى بك في كل خير فلا تنسى أن هذا يحتاج منك إلى صبر وإلى سهر في الليالي وإلى صيام في النهار؛ لأن علم الشريعة يحتاج إلى رجال يطلبونه بالليل والنهار.

وقد قيل: بالصبر واليقين تنال الإمامة بالدين.

ثامناً: أهل الجنة صبروا، ليتحصلوا على الأجر الكبير يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فكل من صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على الابتلاءات والمحن في هذه الدنيا فإنه يوم القيامة سيأخذ أجره بغير حساب، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها: الصبر، فمن أراد الجنة فعليه أن يصبر في هذه الدنيا ابتغاء وجه ربه.

- فالصبر طريق وسبيل إلى الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥]، أي: الجنة ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢].

ويقول ﷺ: «قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه** ـ أي: بعينيه ـ **فصبر، عوضتُه منهما الجنة**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٩).

وجاءت امرأة سوداءُ إلى رسول الله ﷺ تقول: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، قالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها[١].

عباد الله! فالصبر لا يباع ولا يشترى إنما يأتي بالتدريب، بأن يدرب الإنسان نفسه على الصبر، وأن يجاهد نفسه على الصبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول ﷺ: «**ومن يتصبَّر يصبره الله**»[٢]. فإذا أمرك الله بالصلاة فَصَلِّ، واصبر على الصلاة، وإذا أمرك الله بالصيام فصم، واصبر على الصيام، وإذا أمرك الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأمر أهلك بالصلاة، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك ولا تترك ذلك؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»[٣]، أي: لا تترك العمل.

فكثير من الناس لأنه تسلح بسلاح الصبر، صبر. وكم من الناس من يرى درساً للعلم في المسجد الذي يصلي فيه، ولكنه يصلي ويهرول خارجاً ليجلس في مجالسِ الغيبة والنميمة، أو يجلس أمام شاشات المفسديون، فيحرم نفسه من دروس العلم التي جاءته إلى المسجد الذي يصلي فيه، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فذلك لم يصبر على الجلوس والتواضع في بيت الله، ولذلك حرمه الله من العلم، وحرمه من بركة هذه الدروس.

- وكذلك من الناس مَنْ كان يقوم الليل، فحرم من قيام الليل لأنه لم يصبر.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦).
(٢) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).
(٣) **صحيح**: م: (٢٦٦٤).

- وكم من الناس مَنْ كان يصوم تطوعاً فترك الصيام لأنه لم يصبر.
- وكم من الناس مَنْ أطلق لحيته ابتغاء مرضاةِ الله فلم يصبر على ذلك فحلقها.
- وكم من امرأة تحجبت، ثم لم تصبر على الإيذاء والكلام من النساء الكاسيات العاريات فرجعت وانتكست إلى التبرج مرة أخرى.

فيا عباد الله: من يتصبر يصبره الله، فصَبِّروا أنفسكم على طاعة الله، وعن معصية الله، فكم من الناس لم يصبر على الفقر فذهب وأكل الربا، والذين أكلوا الربا فليسألوا أنفسهم لم أكلوا الربا؟ لأنهم لم يصبروا على الفقر، مع أن الفقر أشرف لهم من الربا؛ لأن درهمٌ واحدٌ من الربا أشد عند الله من ستٍ وثلاثين زنية، فالذي يصبر على الفقر لا يسرق، والذي يصبر على الفقر لا يمد يده إلى الرشوة، والذي يصبر على الفقر لا يغش ولا يبيع سلعته باليمين الكاذبة، فاصبروا على طاعة الله، واصبروا عن معصية الله، واصبروا على الابتلاءات والمحن التي تصب عليكم في هذه الدنيا، فإن فعلتم فأبشروا بجنة عرضها السموات والأرض.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يمن علينا وعليكم بالصبر





صفات أهل الجنة

١٠ ـ المحافظة على الصلاة

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة التاسعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الصبر**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يصبرون على طاعة الله، ويصبرون عن معصية الله، ويصبرون على الابتلاءات والمحن التي تصب على رؤوسهم في هذه الدنيا ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة العاشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «المحافظة على الصلاة».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يحافظون على الصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ ـ إلى أن قال ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

عباد الله! **وهنا سؤال يرد علينا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في الدنيا ـ في دار العمل ـ يحافظون على الصلاة؟

أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالمحافظة على الصلاة في حال الأمن والخوف وفي السفر والحضر، وفي السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

وعَلَّمَ الله ﷻ المسلمين كيف يصلون الصلاة في شدة الخوف وهم في أرض المعركة والعدو أمامهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية.

عباد الله! ورسولنا الكريم ﷺ كان طوال حياته يأمر أمته بالمحافظة على الصلاة فقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**»[(١)]، ويقول ﷺ لأصحابه: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[(٢)].

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال ﷺ: «**لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد** ﷺ»[(٣)]، وحتى في أنفاسه الأخيرة وهو في فراش الموت قال ﷺ موصياً أمته: «**الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[(٤)].

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ حافظوا على الصلاة لأنهم علموا أن الصلاة نور؛ نور في الوجه، ونور في القلب،

---

(١) **حسن**: د: (٤٩٥)، حم: (٢/ ١٨٠)، ك: (١/ ٣١١)، قط: (١/ ٢٣٠)، ش: (١/ ٣٠٤)، هب: (٦/ ٣٩٨)، [«ص. ج» (٥٨٦٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥).

(٣) **حسن**: خز: (٦٦٥)، طب: (٤/ ١١٥)، ع: (١٣/ ١٠٧)، هق: (٢/ ٨٩)، [«ص. غ، هـ» (٥٢٨)].

(٤) **صحيح**: د: (٥١٥٦)، هـ (٢٦٩٨)، حم: (١/ ٧٨)، حب: (٦٦٠٥)، ك: (٣/ ٥٩)، خد: (١٥٨)، [«ص. ج» (٤٦١٦)].

ونور يوم القيامة، واقرءوا إن شئتم: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(١). ويقول ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء..**»(٢).

فانظروا عباد الله لقد ربط رسول الله ﷺ بين الصلاة وبين الصبر فقال ﷺ: «الصلاة نور، والصبر ضياء» فأنت بالصبر والصلاة تستعين على نوائب الدنيا، ولذلك قال رب العزة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، أتدرون لم؟ لأن الصلاة نور، والصبر ضياء، فمن حافظ في هذه الدنيا على الصلاة، وتسلح بسلاح الصبر، استعان في الدنيا وأعانه الله فخرج من هذه الدنيا على (لا إله إلا الله) وفاز بجنة عرضها السموات والأرض، أما الذين ضيعوا الصلاة، فوجوههم مسودة، وقلوبهم مسودة، وحياتهم سوداء، وقبورهم مظلمة، ويوم القيامة ينتقلون من ظُلمةٍ إلى ظلمة، ثم بعد ذلك يساقون إلى نار جهنم.

ثالثاً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصلاة هي صلتهم بالله، فنحن إذا صلينا اتصلنا بالله، وإذا تركنا الصلاة قطعنا الصلة بيننا وبين الله، والأمة على خطر عظيم إذ المعظم منها قد تركوا الصلاة ـ إلا من رحم ربي ـ وقطعوا الصلة بينهم وبين ربهم، فتراهم يدعون فلا يستجاب لهم، ويستنصرون فلا يُنْصَرون، أتدرون لم؟ لأنهم قطعوا الصلة بينهم وبين ربهم، يقول ﷺ: «**يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال:**

---

(١) **صحيح**: د: (٥٦١)، ت: (٢٢٣)، هـ: (٧٨١)، خز: (١٤٩٨)، ك: (١/ ٣٣١)، لس: (٢٢١٢)، طب: (٦/ ١٤٧)، [«ص. ج» (٢٨٢٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **قال: مجدني عبدي، (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»**[(١)]. فمن أنت يا ابن آدم حتى إذا قمت في محرابك تصلي، وأنت على هذه الأرض ـ أقبل الله عليك بوجهه تناجيه ويناجيك، تسأله ويستجيب لك؟ فأينَ أنت من هذا يا من حرمت نفسك من هذا الخير العميم!

رابعاً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصلاة تجارة رابحة، ويخبرنا بذلك ربنا جل وعلا فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٩]. يا معشر الأغنياء والتجَّار، يا من ضيعتم الصلاة من أجل التجارة والدنيا، انظروا إلى أهل الجنة ماذا كانوا يريدون؟ إنهم كانوا يريدون تجارة لن تبور، والله ﷻ لما تاجروا معه بالصلاة أخبرنا عنهم ووصفهم لنا لنتشبه بهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. هؤلاء هم الذين يريدون الجنة حقاً فهم لم ينشغلوا بالتجارة، ولم ينشغلوا بالدنيا عن الصلاة. فانظروا يا أمة الإسلام إلى أحوالنا وأحوالهم!

أما الذين لا يعمرون بيوت الله لا بأموالهم ولا بأجسادهم بل يسعون لخرابها فهؤلاء لهم خزي في الحياة الدنيا، وعذاب عظيم يوم

---

(١) **صحيح**: م: (٣٩٥).

القيامة، يقول رب العزة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤].

خامساً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في الدنيا؛ لأن الصلاة تطهر الإنسان من الصفات القبيحة، ومن الأخلاق الذميمة، ولأن الصلاة تنهى الإنسان عن الفحش وتنهاه عن المنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

سادساً: أهل الجنة كانوا يحافظون على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأن الصلاة تطهر الإنسان من الذنوب والمعاصي كما يطهر الماء الثوب والبدن، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، ويقول ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»(١). ويقول ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(٢).

سابعاً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أنهم بالصلاة ينتصرون على أعدائهم، وبالصلاة يُمكن لهم في الأرض، فلا نصر على الأعداء بدون الصلاة، ولا تمكين في الأرض بدون الصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥١).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]. ويقول ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(١).

فالصلاةَ الصلاةَ يا من تريدون التمكين في الأرض، الصلاة الصلاة يا من تريدون العزة، أما أن تدعوا الله وتحاولوا أن تحصلوا على النصر والأمة قد ضيعت الصلاة، فهذا والله تضييع للوقت والجهد، فلنغير ما في أنفسنا أولاً وعندها يغير الله ما في قلوبنا وما حَلَّ بنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

ثامناً: أهل الجنة كانوا يحافظون على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصلاة سبب لنزول الرحمة، فإن الرحمة تنزل علينا إذا صلينا، ونحرم منها ونعيش معيشة الضنك في ذل وهوان إذا ضيعنا الصلاة يقول رب العزة: ﴿**وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ**﴾ [التوبة: ٧١].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها، المحافظة على الصلاة، وإذا نظرنا إلى أحوال المسلمين في هذا الزمان فسنرى منهم من ضيع الصلاة وانشغل بحطام الدنيا وكثير ما هم، ومنهم من ضيع صلاة الجماعة، ومنهم من ضيع صلاة الفجر فإنا لله وإنا إليه راجعون! ولعل يأتي الرجل إلى الصلاة في المسجد ويترك زوجته لا تصلي، ابنه لا يصلي، جاره لا يصلي، ولا أحد يريد أن ينقذ أحداً من النار لأننا قد انشغلنا بحطام الدنيا. والله ﷻ يقول: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

لا أحد منا يقصِّر في أمور الدنيا سواءً لأولاده أو لزوجته، ولكن كلنا قصَّر في حق الصلاة والقرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) **صحيح**: ن: (٣١٨٧)، هق: (٣٣١/٦)، حل: (٢٦/٥)، [«ص. غ. هـ» (٦)].

فالرجل لا يهتم بصلاة ابنه وبصلاة أسرته لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فنقول إلى أولئك الذين ضيعوا الصلاة وانشغلوا بحطام الدنيا: اسمعوا ما يقوله رب العزة، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

فاعلم أيها المسلم أن مصير ابنك الذي لا يصلي إن مات على ذلك فهو إلى النار، وٱعلم أن النار تشتعل فيه في الدنيا وأنت لا تراه، واعلم أيها المسلم أن زوجتك التي لا تصلي، وأمك التي لا تصلي، وأختك التي لا تصلي إن ماتوا على ترك الصلاة فهن إلى النار، يقول رب العزة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥].

ويقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(٢).

واعلموا يا عباد الله أن من ترك الصلاة جاحداً ومنكراً لها فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، إن مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين فاتقوا الله في أنفسكم، وحافظوا على الصلاة، واعلموا أنَّ مَنْ ترك الصلاة تكاسلاً وهو مقرٌّ بفرضيتها ومات على التوحيد فهو في مشيئة الله، أما الذين ضيعوا صلاة الجماعة، وأخذوا يصلون في محلاتهم، وفي بيوتهم فنقول لهم: يقول رب العزة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، ويقول ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**»(٣)، ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤)، وجاء

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦٢١)، ن: (٤٦٣)، هـ: (١٠٧٩)، حم: (٥/٣٤٦)، حب: (١٤٥٤)، ك: (١/٤٨)، قط: (٢/٥٢)، ش: (٦/١٦٧)، [«ص. ج» (٤١٤٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٨٢).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٣١)، م: (٦٦٩).

(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣٣١.

رجل أعمى إلى رسول الله ﷺ يأخذ رخصة ليصلي في بيته فقال له ﷺ: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»(١)، فما بالنا وقد أعطانا الله البصر، وأعطانا الله الصحة، ومكننا من كل شيء ثم تركنا الصلاة في بيت الله!؟

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من سرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنه، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف)(٢)، وإلى الذين يضيعون صلاة الفجر نقول لهم: يقول ﷺ: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله**»(٣)، ويقول ﷺ: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**»(٤)، ويقول ﷺ: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبواً**»(٥).

فحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين
لتفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٣).
(٢) **صحيح**: م: (٦٥٤).
(٣) **صحيح**: م: (٦٥٧).
(٤) **صحيح**: م: (٦٥٦).
(٥) **صحيح**: خ: (٦٢٦)، م: (٦٥١).

١٦٠

صفات أهل الجنة

١١ ـ الإنفاق في سبيل الله

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الحادية عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الإنفاق في سبيل الله».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه عن أهل الجنة وأنهم كانوا في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يتصفون بالإنفاق في سبيل الله وبالجود والكرم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

آيات بينات من كتاب الله يصف فيها ربنا جل وعلا أهل الجنة بأنهم كانوا في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ ينفقون من أموالهم في سبيل الله، ويتصفون بالجود والكرم.

عباد الله! **والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ ينفقون أموالهم في سبيل الله؟

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم في كتابه بالإنفاق في سبيله قبل فوات الأوان، فأنت يا عبد الله في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تستطيع أن تنفق من مالك في سبيل الله، أما إذا نمت في فراش الموت، وخرجت من هذه الدنيا، وقفت يوم القيامة بين يدي الله فلن تستطيع أن تستفيد من مالك، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، هذا نداء من الله ﷻ لكم معشر المؤمنين، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [إبراهيم: ٣١]، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، أنفقْ أُنْفق عليك**»[(١)]، ورسولنا الكريم ﷺ يأمر أمته بالجود والكرم، فيقول ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[(٢)]. ويضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٧)، م: (٩٩٣).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٤/ ١٧٦)، [«ص. ج» (٧٨٦٥)].

أعلى في الجود والكرم والإنفاق في سبيل الله، يقول جابر رضي الله عنه: «**ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا**»[١]، ويقول أنس رضي الله عنه: (ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة)[٢].

فيا أمة الإسلام، ها هم أهل الجنة أمرهم الله بالإنفاق في سبيله قبل فوات الأوان، وأمرهم الرسول ﷺ بالجود والكرم، وضرب لهم مثلاً أعلى في ذلك، فاستجابوا لله ولرسوله ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

ثانياً: أهل الجنة أنفقوا في سبيل الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، ابن آدم إن الذي تملكه وكل ما بين يديك ينفد وما تقدمه لنفسك عند الله باق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [النحل: ٩٥].

ويقول ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيِّب ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**»[٣]، فادخروا عند الله فما عندكم ينفد وما عند الله باق، ينميه لكم كما ينمي أحدكم فلوه، أي: مُهرهُ، ويقول رب العزة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤]، ويقول ﷺ يوماً لأصحابه: «**أيكم مال وارثه أحب إليه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٨٧)، م: (٢٣١١).
(٢) **صحيح**: م: (٢٣١٢).
(٣) **صحيح**: خ: (١٣٤٤)، م: (١٠١٤).

من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخَّر**»(١).

نعم، ما تقدمه في حياتك بين يديك عند الله باق تجده يوم القيامة، وما تتركه خلفك فهو للورثة، إن كانوا طالحين عصوا الله بهذا المال الذي تركته! فأهل الجنة أصحاب العقول السليمة تاجروا مع الله ﷻ، وادخروا ذلك لهم عند الله ليجدوا ثوابه عند الله ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

ثالثاً: أهل الجنة أنفقوا في هذه الدنيا في سبيل الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحة، فيا تُجَّار المسلمين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ يقول ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١].

رابعاً: أهل الجنة أنفقوا في سبيل الله في هذه الدنيا لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الرزق يزاد بالإنفاق، فالله ﷻ كريم إذا أنفقت أنفق عليك، كما قال في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك**»(٢) وقال ـ تعالى ـ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]، كلما أنفقت شيئاً في سبيل الله أخلفه الله عليك وزادك رزقاً لأن الله ﷻ جواد كريم خزائنه ملأى ينفق بالليل والنهار، ولو وقف كل الناس من آدم إلى يوم القيامة في صعيد واحد، وطلبوا من الله فأعطى سبحانه وتعالى كل واحد ما سأل ما نقص من خزائنه شيئاً، يقول ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**»(٣)،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٧٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٤٠٧)، م: (٩٩٣).
(٣) **صحيح**: م: (٢٥٨٨).

ويقول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(١).

ويقول ﷺ: «**بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءهُ في حَرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كُلَّهُ فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّلُ الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبد الله، لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لأسمك فما تصنع فيها؟ قال: أمَّا إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه**»(٢).

الأمر يأتي من رب العالمين: اسق حديقة فلان من بين الحدائق لأنه عرف حق الله تعالى، وأعطى للفقراء والمساكين حقهم، فالله ﷻ يأمر السحاب أن يأتي من أماكن بعيدة وأن تسقي حديقة فلان! فالرزق يزاد بالإنفاق، وفي المقابل فإن البخل سبب لزوال الرزق، وسبب لضياع المال، أتذكرون أصحاب الجنة الذين جاء ذكرهم في كتاب الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾، أي: أقسموا وأصروا ليلاً على أن يحرموا الفقراء والمساكين من ثمار البستان ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٠]، أبادها الله من أيديهم لأنهم بخلوا، فيا من تبخل على نفسك، يا من تبخل على أولادك، يا من تبخل على الفقراء والمساكين تذكر، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

(١) **صحيح**: خ: (١٣٧٤)، م: (١٠١٠).

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٨٤).

خامساً: أهل الجنة أنفقوا من أموالهم في سبيل الله، ليطهروا أنفسهم من مرض الشح والبخل والنفاق وليطهروا أموالهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

أما من بَخِلَ بماله فلا بد أن يصاب بما يلي:

أولاً: بمرض الشح وهو أعلى درجات البخل، ومرض الشح مهلكٌ لصاحبه، قال ﷺ: «**ثلاث مهلكات** ـ وذكر منها: ـ **شح مطاع**»(١)، وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»(٢).

ثانياً: يصاب البخيل بمرض النفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

ثالثاً: البخيل يعيش معيشة الضنك فلا يعرف طعم السعادة أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١١].

فالبخيل يعذب في حياته، وفي قبره، ويوم القيامة لأنه كان في هذه الدنيا لا همَّ له إلا أن يجمع المال فتراه يتعب في جمعه ثم عند موته ينظر إلى ماله ويتألم لفراقه ويوم القيامة إذا وقف عريانَ بين يدي الجبار سأله سبحانه وتعالى عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص. ج» (٣٠٤٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: الإنفاق في سبيل الله والجود والكرم.

وإذا أردت يا أخا الإسلام أن تكون من أهل الجنة وأن تتصف بصفات أهلها فعليك بما يلي:

أولاً: أن تفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله لا رياء ولا سمعة، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ويقول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى**»(١)، فإذا قصدت بإنفاق هذا المال رضا الله كان لك عند الله، وإذا نويت بإنفاق المال أن يقال عنك: جواد كريم وأن تبتغي بذلك وجه الناس فلا أجر لك عند الله.

عباد الله! اعلموا أن الرسول ﷺ أخبر «**أن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه** ـ وذكر ثلاثاً منهم: ـ **رجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتِى به، فعرَّفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار**»(٢).

ثانياً: احذر أن تمُن بما أنفقت على الناس فالمن أذى، والله ﷻ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ويقول رب العزة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (١)، م: (٩٠٧).

(٢) **صحيح**: م: (١٩٠٥).

ثالثاً: إياك أن تنفق من مال حرام، إياك أن تكون كالزانية التي تزني وتتصدق بمال الزنى في سبيل الله، إياك أن تكون كالمرابي الذي يأخذ الربا ويتصدق به في سبيل الله، إياك أن تكون كالمرتشي الذي يأخذ الرشوة ويتصدق بها في سبيل الله، احذر أن تتصدق من كسب حرام فإنه لن يقبل منك؛ فالله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً، فأنفقوا من طيبات ما كسبتم استجابة لقول ربكم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧].





صفات أهل الجنة

١٢ ـ التواضعُ وعدم التكبر

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثانية عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التواضع وعدم التكبر».

أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ ربوا أنفسهم على التواضع لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ربوا أنفسهم على عدم الكبر، فتعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى كلام ربنا وهو يخبرنا عن صفات أهل الجنة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ ـ إلى أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٧].

عباد الله! يصف لنا ربنا جل وعلا أهل الجنة بصفات، فمن أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بهذه الصفات، ومن صفات أهل الجنة: التواضع وعدم التكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

عباد الله! **والسؤال الذي نجيب عنه الآن هو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في الدنيا ـ في دار العمل ـ يربون أنفسهم على التواضع وعدم التكبر؟

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالتواضع في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

والأمر من الله لرسوله ﷺ هو أمر لأمته، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: أيها المسلم، اخفض جناحك للمؤمنين، تواضع يا أيها المسلم لعباد الله المؤمنين، اجلس مع الفقراء، عُدِ الفقراءَ، أحسن إلى الفقراء تكن مؤمناً.

وحذر ربنا جل وعلا عباده في المقابل من الكبر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]. أي: يا ابن آدم، إياك إياك أن تدب على الأرض وأنت تظن أنه ليس عليها إلا أنت، فمهما ضربت برجلك على الأرض فلن تخرقها، ومهما رفعت رأسك على الناس فلن تبلغ الجبال طولاً، واعتبر بما بدأت منه يا ابن آدم: بدأت من نطفة، فانظر إلى الأقذار بين جنبيك، وأنت تدب على هذه الأرض، ثم تذكر نهايتك يا ابن آدم: جيفة نتنة، فلا قيمة لك إلا أن تتواضع لله ﷻ. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [لقمان: ١٨]، وها هو رسولنا ﷺ يأمر بالتواضع، فيقول ﷺ: «**إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحدٌ على أحد**»(١).

وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٢)، وحذر ﷺ من الكبر فقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٨).

الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»[(١)]، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٢)].

فأحذر أن تكون منهم.

عباد الله! إن أهل الجنة لمّا أمرهم الله بالتواضع ونهاهم عن التكبر، ولمّا أمرهم الرسول ﷺ بالتواضع ونهاهم عن التكبر قالوا: سمعنا وأطعنا.

ثانياً: أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا يربون أنفسهم على التواضع؛ لأنهم قد علموا أن الله ﷻ أعد الجنة للمتواضعين، وأعد النار للمتكبرين، فقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة، فأخبر ربنا في كتابه وأخبر رسوله ﷺ في سنته أنه لا يدخل الجنة متكبر، يقول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ - أي: الجنة - ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٣)].

● وقد جاءت الأدلة يا عباد الله في الكتاب والسنة تبين أن النار قد أعدها الله ﷻ للمتكبرين، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] أي: مأوى للمتكبرين، وقال - تعالى -: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).
(٢) **صحيح**: م: (١٠٧).
(٣) **صحيح**: م: (٩١).

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار!**» قالوا: بلى قال: «**كل عُتُل جوَّاظ مستكبر**»[(١)]، وقال ﷺ: «**احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أُعذب بك من أشاء (وربما قال: أصيب بك من أشاء) وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها**»[(٢)].

فالجنة أعدت للمتواضعين، والنار أعدت للمتكبرين.

عباد الله! من أراد الجنة فليربي نفسه على التواضع وليبتعد بها عن الكبر لينجو من عذاب النار.

ثالثاً: أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يربون أنفسهم على التواضع؛ لأنهم علموا أن الكبر شر على صاحبه في الدنيا والآخرة، فيا أيها المتكبر على الله ورسوله وعلى الناس بمالك أو بسلطانك أو بجاهك أو بصحتك أو بأولادك وعشيرتك. **أيها المتكبر اسمع**:

أولاً: المتكبر لا يحبه الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

ثانياً: المتكبر محروم من الهداية ومحروم من كل خير، قال ـ تعالى ـ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ثالثاً: المتكبر يحرم نفسه من قراءة كتاب الله، وإن قرأه فلا ينتفع بما فيه.

رابعاً: المتكبر لا يأتي إلى درس علم ولا يتواضع ليتعلم، فهو لا

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٣٤)، م: (٢٨٥٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٥٦٩)، م: (٢٨٤٦).

يصبر على ذل العلم ساعة فيبقى جاهلاً مدى الحياة فحرمه الله ذلك بما استقر في قلبه من كبر.

وصدَق مَنْ قَال:

وَمَنْ لم يذق ذلَّ التعلم ساعةً   تجرَّع ذلَّ الجهلِ طولَ حياته

خامساً: المتكبر لا يَسْأل عما لا يعلم، لذلك تراه يقترف المعاصي ويبقى يتقلب في ظلمات الجهل حتى يخرج من هذه الدنيا، فهل وجدتم متكبراً يأتي إلى المسجد للصلاة؟ هل وجدتم متكبراً يأتي إلى دروس العلم ليتعلم؟ هل وجدتم متكبراً يتواضع ويرفع سماعة هاتفه ليسأل سؤالاً عن دينه؟.

سادساً: المتكبر يختم الله على قلبه فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

سابعاً: المتكبر يلقى الله يوم القيامة والله عليه غضبان، يقول ﷺ: «**ما من رجل يتعاظم في نفسه، ويختال في مشيته إلا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**»[(١)].

ثامناً: المتكبر سيهلكه الكبر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**ثلاث مهلكات؛ شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[(٢)].

والله ﷻ بعدله يعاقب المتكبرين يوم القيامة من جنس ما تكبروا به في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل. قال ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر** ـ أي: النمل الصغير ـ **في صور الرجال...**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/١١٨)، ك: (١/١٢٨)، خد: (٥٤٩)، [«ص. ج» (٥٧١١)].

(٢) **حسن**: طس: (٥/٣٢٨)، هب: (١/٤٧١) حل: (٢/٣٤٣)، [«س. ص» (١٨٠٢)].

(٣) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/١٧٩)، خد: (٥٥٧)، هب: (٦/٢٨٨)، [«ص. ج» (٨٠٤٠)].

فاعتبروا يا عباد الله؛ فإن هؤلاء لمّا رفعوا رؤوسهم على الناس في الدنيا عاقبهم الله يوم القيامة فحشرهم في أرض المحشر أمثال الذر في صور الرجال تطؤهم الأقدام في أرض المحشر، يغشاهم الذل من كل مكان، فكونوا من الكبر على حذر وتواضعوا لله، وتواضعوا لرسول الله، وتواضعوا لخلق الله، تكونوا من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: التواضع وعدم التكبر، فتواضعوا عباد الله ولا تتكبروا على الله أو رسوله أو على الناس.

واعلم أيها المسلم، بأنك إذا سمعت النداء للصلاة ولم تأتِ إلى المسجد فقد تكبرت على الله، واعلم أيها المسلم أنك إذا بلغتك سنة عن رسول الله ولم تعمل بها فقد تكبرت على رسول الله، واعلم أيها المسلم أنك إذا دعيت من الفقير فتكبرت أن تجيب دعوته أو تكبرت أن تجالس الفقراء والمساكين، أو تكبرت أن تأتي إلى المسجد لتتعلم وتجلس بين الناس فاعلم أنك من المتكبرين!

ولعل الناظر إلى كثير من الناس في هذا الزمان العجيب يرى أنهم قد تكبروا على الله وعلى رسول الله وعلى خلق الله، فالكبر كما عرفه رسول الله ﷺ «**بطر الحق** ـ أي: ردُّه ـ **وغمط الناس** ـ أي: احتقارهم»[1]، فالكبر: عدم قبول الحق فمن جاءه الحق من الكتاب والسنة ورده ولم يعمل به فقد تكبر على الله وعلى رسول الله.

وأما غمط الناس ـ أي: احتقارهم ـ، فمن نظر إلى الناس بعين الاحتقار أو رفع رأسه على الناس، أو تكبر على الفقراء والمساكين فهو من المتكبرين. فنقول لهؤلاء احذروا أن تتكبروا على الله فإن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

عباد الله! احذروا أن تتكبروا على رسول الله، واتعظوا بهذا الرجل الذي أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له ﷺ: «**كُل بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه»[(١)]، فاحذروا يا من تأتيكم السنن فتردونها وقد قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(٢)].

واحذروا يا من تتكبرون على خلق الله بأموالكم أو بصحتكم، أو بأولادكم، أو بوظائفكم، احذروا واعتبروا بقارون الذي تكبر على قومه بماله فخسف الله به وبماله الأرض. واعتبروا بفرعون الذي تكبر على قومه بجاهه وملكه وسلطانه، فأغرقه الله في البحر، واعتبروا بعاد فقد تكبروا على الناس بقوتهم وقالوا: من أشد منا قوة؟ فأبادهم الله.

قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجِّلٌ جمتُه، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[(٣)]. إياك أن تتكبر يا ابن آدم على خلق الله، وانظر لنفسك وإلى أصلك! انظر من أين خرجت؟! وإلى أين تذهب؟! فلا قيمة لك إلا أن تتواضع لله ولرسول الله ولعباد الله، فمن أراد منكم الجنة فعليه أن يربي نفسه على التواضع وأن يعالج ما في نفسه من الكبر.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن ينجينا وإياكم من الكبر ويرزقنا التواضع

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢١).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).



صفات أهل الجنة

١٣ ـ قيام الليل

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثالثة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «قيام الليل».**

عباد الله! أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ لا ينامون من الليل إلا قليلاً. أتدرون ماذا كانوا يفعلون؟ إنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً. أتعلمون ماذا يطلبون من ربهم؟ يسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار، فتعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى كلام ربنا وهو يصف لنا أهل الجنة لتقارنوا بين من يطلبون الجنة، وبين أحوال المسلمين في هذا الزمان ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ إلى أن قال رب العزة ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ ـ أي: الجنة ـ ﴿بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

عباد الله! انظروا إلى أهل الجنة، إنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ماذا يطلبون؟ وماذا يقولون؟ ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥]، فجمعوا بين الخوف من الله والعمل الصالح، أما حال كثيرٍ منا في هذا

الزمان بعد أن وضعوا (الستالايت) على بيوتهم ووضعوا المفسديون في كل غرفة من بيوتهم حالهم يقول: جمعنا بين الأمن من مكر الله وبين العمل السيىء ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

انظروا عباد الله: أهل الجنة جمعوا بين الخوف من الله وبين العمل الصالح، وكثير منا جمع بين الأمن من مكر الله، والعمل السيىء، وأظن أن ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

- انظروا عباد الله هؤلاء جمعوا بين العمل الصالح ـ فقاموا الليل، وأنفقوا من أموالهم في سبيل الله ـ وبين الخوف من الله.

- أما حالنا اليوم فإننا ننام الليل على معصية الله، ولا نقوم من الليل لنذكر الله، ووضعنا أموالنا في البنوك نرابي بها، ونحارب الله، ومع ذلك فكل منا قد أمن مكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨]، طوال الليل يصلون لله وفي الأسحار أي: قبل الفجر يستغفرون، وكأنهم باتوا يعصون الله، أما نحن فننام على شاشات المفسديون وعلى الغيبة والنميمة، كما وقد ضيعنا صلاة الليل، بل حتى وضيعنا صلاة الفجر، ثم حاربنا الله بأموالنا فجمعنا بين المعصية والعمل السيء!

عباد الله! تذكروا صفات الذين يطلبون الجنة: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

عباد الله! انظروا معي إلى أحوال المسلمين في هذا الزمان ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ تجدونهم سهروا ليلهم على مشاهدة مباريات كرة القدم

لكأس العالم فضيعوا الصلاة عن وقتها وضيعوا قيام الليل، وصلاة الفجر... فهل هؤلاء يستحقون النصر من الله، وهل هؤلاء هم من يحرِّرون الأقصىٰ مِنْ أيدي اليهود؟ لا نملك إلَّا أَنْ نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! **هنا سؤال مهم يحتاج منَّا إلى إجابة ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يقومون الليل؟

أولاً: لأن الله في كتابه حثهم على قيام الليل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

ولم يسوِّ ربنا جل وعلا بين الذين يقومون الليل، والذين لا يقومون الليل، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]. هل يستوي الذي يعلم فضل قيام الليل فيقومه، مع الذي لا يعلم فضل قيام الليل فينام عنه؟ لا يستوون، فما بالنا بالذين لم يضيعوا قيام الليل فحسب، بل ضيعوا صلاة الفجر؟! فكم من المسلمين يحافظون على صلاة الفجر في وقتها؟! إنهم قلة يا عبادَ الله، والكثير قد ضيع صلاة الفجر، عباد الله هل يجتمع قيام الليل مع المفسديون في بيت واحد؟ هل يصلي رجل قيام الليل وفي بيته وسائل الفساد؟ لا؛ لأنَّ المعاصي سبب لزوال النعم.

ثانياً: لأن رسولنا ﷺ حث على قيام الليل، فقال ﷺ: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم**»[1]، وقال ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا،**

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٩)، خز: (١١٣٥)، ك: (٤٥١/١)، طب: (٩٢/٨)، هق: (٥٠٢/٢)، [«ص. غ، ه» (٦٢٤)].

أو صلى ركعتين جميعاً، كتبا في الذاكرين والذاكرات»(١)، وقال ﷺ: **«من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»**(٢)، أي: من الذين كُتب لهم قنطار من الأجر.

ويقول ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»**(٣)، وقال ﷺ: **«لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله** ﷻ **القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه فيقول رجل: لو أن الله تعالى أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأتصدق به»**(٤) وقال ﷺ: («**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»، قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً)(٥).

وضرب لنا ﷺ مثلاً أعلى في قيام الليل فقام حتى تفطرت قدماه، أي: تشققت قدماه، تقول عائشة ﵂: إن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أكون عبداً شكوراً**»(٦).

---

(١) **صحيح**: د: (١٣٠٩)، ك: (٢/ ٤٥٢)، طس: (٣/ ٢١٨)، ش: (٢/ ٧٣)، [«ص. غ. هـ» (٦٢٦)].

(٢) **صحيح**: د: (١٣٩٨)، خز: (١١٤٤)، حب: (٢٥٧٢)، هب: (٢/ ٤٠٠)، [«ص. ج» (٦٤٣٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٧٣)، م: (٨١٥).

(٤) **حسن**: حم: (٤/ ١٠٤)، طب: (٢٢/ ٢٣٩)، طس: (٢/ ٣٧٥)، طص: (١/ ٩٣)، هب: (٢/ ٣٣٧)، [«ص. غ. هـ» (٦٣٦)].

(٥) **صحيح**: خ: (١٠٧٠)، م: (٢٤٧٩).

(٦) **صحيح**: خ: (٤٥٥٧)، م: (٢٨٢٠).

ثالثاً: لأن قيام الليل سفينة المتقين إلى الجنة، وطريق إلى الجنة، فيا من تريدون الجنة قال ﷺ: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١)، وقال ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»(٢).

رابعاً: لأن الله ﷻ يحفظك بقيامك الليل من شر السحرة ومن شر السحر، فإلى الذين ابتلوا بالسحر، وإلى الذين أصابهم الوهم بأنهم سُحِروا: احفظوا أنفسكم بالعقيدة الصحيحة وبقيام الليل. يقول ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٣).

جربوا يا عباد الله، قوموا من الليل فصلوا لله، وستجدوا أنفسكم طوال يومكم في نشاط، وفي حيوية، وفي رضا، مطمئني البال، بينما أولئك الذين حُرِموا قيام الليل تراهم ـ طوال يومهم ـ كُسَالىٰ، مهمومين، مغمومين، ذُكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»(٤)، فما بالنا بمن نام حتى طلعت الشمس ولم يصل حتى الفجر؟!.

خامساً: لأن قيام الليل شرفك في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت**

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣١٦.

(٢) **حسن**: حم: (٥/٣٤٣)، خز: (٢١٣٧)، حب: (٥٠٩)، ك: (١/١٥٣)، طب: (٣/٣٠١)، [«ص. ج» (٢١٢٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (١٠٩١)، م: (٧٧٦).

(٤) **صحيح**: خ: (١٠٩٣)، م: (٧٧٤).

فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس»(١).

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: قيام الليل.

وقيام الليل: هو الصلاة التي يصليها العبد بالليل، ويجوز أن يصليها العبد بعد العشاء مباشرة، ويجوز أن يصليها في وسط الليل، ويجوز أن يصليها في الثلث الأخير من الليل، أي: قبل طلوع الفجر، وأفضل وقت لها في الثلث الأخير من الليل، قال ﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن ٱستطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»(٢)، وقال ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(٣).

عباد الله! قيام الليل سنة مؤكدة، وهو أفضل صلاة بعد الفريضة، يقول الله ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]. فبعد أن ذكر الله صلاة الفريضة ذكر بعدها صلاة الليل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، فظهر بهذا أن أفضل صلاة بعد الفريضة هي قيام الليل، يقول ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل**»(٤).

عباد الله! وقيام الليل أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، تقول

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، طس: (٤/ ٣٠٦)، هب: (٧/ ٣٤٩)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«س. ص» (٨٣١)].

(٢) **صحيح**: ت: (٣٥٧٩)، خز: (١١٤٧)، ك: (١/ ٤٥٣)، هق: (٣/ ٤)، [«ص. ج» (١١٧٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (١٠٩٤)، م: (٧٥٨).

(٤) **صحيح**: م: (١١٦٣).

عائشة ﵂: «**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة..**»[١].

فيا أمة الإسلام! هذا هو قيام الليل، وهؤلاء هم أهل الجنة، فالذين يريدون الجنة يقومون الليل، وإذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان نراهم وقد ضيعوا قيام الليل، بل وضيعوا حتى صلاة الفجر، وضيعوا الصلاة فانطبق عليهم قول ربهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

فيا أمة الإسلام! من أراد أن يقوم من الليل فعليه أن يحفظ شيئاً من كتاب الله ليتغنى به في جوف الليل، وليناجي ربه، وعليه أن يتعلم العلم الشرعي، فبالعلم تعرف ربك، ومن عرف ربه قام بالليل والناس نيام يناجي ربه، ويطلب من ربه ما يريد، فالله ﷻ غني ونحن الفقراء، والله ﷻ يغضب عليك إذا لم تسأله، وبُنَيُّ آدم إذا سألته يغضب عليك.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن لا يحرمنا وإياكم من قيام الليل

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠٩٦)، م: (٧٣٨).

١٦٣

صفات أهل الجنة

١٤ ـ الحب في الله

عباد الله! بالعقيدة الصحيحة يتحصل الإنسان على جنة عرضها السموات والأرض، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الرابعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الحب في الله».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه، وأخبرنا رسولنا ﷺ في سنته أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يتحابون في الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨]، ويقول ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[١].

فأهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تحابوا في الله، فلما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! **هنا سؤال مهم ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يتحابون في الله؟

---

(١) صحيح: م: (٥٤).

أولاً: لأنهم قد علموا أن الحب في الله أوثق عرى الإيمان. قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله** ﷻ»(١).

ثانياً: لأنهم قد علموا أن الحب في الله دليل على كمال الإيمان. يقول ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٢).

ثالثاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الحب في الله يجعلهم كالبناء الواحد في قوته، وكالجسد الواحد في إحساسه، يقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضه بعضاً**»، وشبك بين أصابعه(٣). ويقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٤).

فالمسلم إذا أحب أخاه في الله حزن لحزنه وشعر وأحس بما يحس به أخوه، فيا إخوة الإسلام الحب في الله ليس كلاماً يقال، وليس كتاباً يكتب، إنما هو ترجمة عملية في هذه الدنيا. لـ(قال الله) و(قال رسول الله).

فالمسلم إذا أحب إخوانه في الله كان بهم كالبناء في تماسكه، وكالجسد في إحساسه ولذلك ضرب الله لنا مثلاً للحب في الله في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩] لأنهم تحابوا في الله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: ٨].

---

(١) **حسن لغيره**: لس: (٧٤٧)، ش: (٦/ ١٧٠)، هب: (١/ ٥٤)، [«ص. غ. هـ» (٣٠٣٠)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، طس: (٩/ ٤١)، ش: (٧/ ١٣٠)، هب: (٦/ ٤٩٢)، [«ص. ج» (٥٩٦٥)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

• فالمهاجرون يا عباد الله خرجوا من مكة وقد تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا إلى المدينة إلى إخوانهم من الأنصار لم؟ لأنهم أحبوهم في الله، والأنصار في المدينة استقبلوا المهاجرين وقدَّموا لهم الأموال والديار بل وآثروهم على أنفسهم أتدرون لم؟ لأنهم أحبوهم في الله.

• ولذلك وصف ربنا جل وعلا الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

• والذين جاءوا من بعدهم يدعون لإخوانهم بالمغفرة والرحمة، أتدرون لم؟ لأنهم يحبونهم في الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

رابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تحابوا في الله؛ لأنهم قد علموا أن الله يحب المتحابين فيه، قال ﷺ: «**قال الله ـ تعالى ـ: حقت محبتي للمتحابين في**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال له: هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(٢).

الحب في الله سبب لمحبة الله للعبد، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله العبد نادىٰ جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل، فينادي**

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٩)، حب: (٥٧٥)، ك: (٤/ ١٨٧)، لس: (٥٧٢)، طب: (٢٠/ ٨١)، هب: (٦/ ٤٨٣)، [«ص. غ، هـ» (٣٠٢٠)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٧).

جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[(١)].

خامساً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تحابوا في الله؛ لأنهم علموا وأيقنوا أن المتحابين في الله يوم القيامة سيكونون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظلهُ، يقول ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ منهم: ـ «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[(٣)].

سادساً: أهل الجنة تحابوا في الله في هذه الدنيا؛ لأنهم قد علموا أن المتحابين في الله ـ يوم القيامة ـ وجوههم نور، وأنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس يقول ﷺ: «**إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء**» قيل: من هم؛ لعلنا نحبهم؟ قال ﷺ: «**هم قوم تحابوا بنور الله، من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس** ثم قرأ ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾»[(٤)] [يونس: ٦٢].

سابعاً: أهل الجنة كانوا يتحابون في الله وهم في هذه الدنيا؛ لأنهم قد علموا وشعروا أن الحب في الله له حلاوة وله لذة يشعر بها المرء في قلبه، ولذلك قال ﷺ: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»[(٥)]. وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان:**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٣٧)، م: (٢٦٣٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٦).

(٣) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

(٤) **صحيح**: حب: (٥٧٣)، ع: (٢/ ٣٣٢)، [«ص. غ، هـ» (٣٠٢٣)].

(٥) **حسن**: حم: (٢/٢٩٨)، ك: (١/ ٤٤)، هب: (٦/ ٤٩١)، حل: (٤/ ١٥٤)، [«ص. ج» (٦٢٨٨)].

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[(١)].

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها الحب في الله، والحب في الله في هذا الزمان أصبح نادراً ـ إلا ما رحم ربي ـ لأن المحبة بين الناس أصبحت قائمة مِنْ أجل الدنيا ومن أجل العلاقات فيما بينهم في هذه الدنيا الفانية، فلا يحبون إلا للدنيا، ولا يجتمعون إلا على محبة الدنيا، ولا يعطون إلا من أجل الدنيا، ولا يمنعون إلا من أجل الدنيا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه المحبة القائمة على المصلحة سرعان ما تزول بزوال المصلحة ثم تنقلب إلى عداوة يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، أما الحب في الله ـ وإن كان قليلاً في هذا الزمان ـ لكنه هو الذي يبقى وهو الذي يثمر في الدنيا والآخرة.

ولذلك أرشدنا رسول الله ﷺ إلى أمور تُقوِّي وتعين على الحب في الله منها:

أولاً: إفشاء السلام كما سمعتم، يقول ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(٢)].

ثانياً: الهدية تزيد في المحبة في الله، إذا قُدِمت لله ولم تقدم رشوة أو من أجل مصلحة من مصالح الدنيا، يقول ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»[(٣)].

ثالثاً: الاقتصاد في الزيارة، فالإكثار من الزيارة يقلل من المحبة في الله، وتقليل الزيارة يقلل من المحبة في الله، والوسط هو المطلوب،

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣). (٢) **صحيح**: م: (٥٤).

(٣) **حسن**: خد: (٥٩٤)، ع: (١١/٩)، هب: (٦/٣٧٩)، هق: (٦/١٦٩)، [«ص. ج» (٣٠٠٤)].

ولذلك يقول ﷺ: «**زُر غباً تزدد حباً**»[١].

رابعاً: الاعتدال في المحبة، يقول ﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»[٢].

خامساً: أن تُعْلِمَ من تحب بأنك تحبه، يقول ﷺ: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**»[٣]. ولذلك طاعة لرسول الله ﷺ فأنا والله أخبركم بأنني أحبكم في الله، وهذا الحب يتألم صاحبه عند فراقكم، يقول ﷺ: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامهُ بالليل، وعزهُ استغناؤه عن الناس**»[٤].

فالفراق بين الأحبة أليم، وإنني أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، فإني مسافرٌ لزيارة أهلي وصلة رحمي في بلاد مصر.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❋ ❋ ❋

---

(١) **صحيح لغيره**: ك: (٣/ ٣٩٠)، لس: (٢٥٣٥)، طب: (٤/ ٢١)، طس: (٢/ ٢١٠)، طص: (١/ ١٨٧)، هب: (٦/ ٣٢٧)، [«ص. غ. هـ» (٢٥٨٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٩٧)، خد: (١٣٢١) موقوفاً على علي رضي الله عنه، طس: (٣/ ٣٥٧)، [«ص. ج» (١٧٨)].

(٣) **صحيح**: د: (٥١٢٤)، ت: (٢٣٩٢)، حم: (٤/ ١٣٠)، حب: (٥٧٠)، ك: (٤/ ١٨٩)، خد: (٥٤٢)، طب: (٢٠/ ٢٧٩)، حل: (٦/ ٩٩)، [«ص. ج» (٢٧٩)].

(٤) **حسن**. تقدم تخريجه ص٣٥٧.

١٦٤

صفات أهل الجنة

١٥ ـ التوبة النصوح

عباد الله! قلنا: إن الإنسان إذا خرج من هذه الدنيا على العقيدة الصحيحة فاز يوم القيامة بجنة عرضها السمٰوات والأرض، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، وقد وصل بنا الحديث في العقيدة إلى الحديث عن الجنة وعن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الخامسة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التوبة النصوح».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا اقترفوا ذنباً أو وقعوا في معصية بادروا بالتوبة إلى الله والرجوع إليه، فلما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

عباد الله! والسؤال الذي يحتاج منَّا إلى إجابةٍ هو:

لماذا أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا

اقترفوا ذنباً أو وقعوا في معصية بادروا بالتوبة والرجوع إلى الله؟

أولاً: لأن الله تعالى أمرهم بالتوبة، والأمر كما يقول علماء الأصول للوجوب، فالذي يقترف ذنباً يجب عليه فوراً أن يتوب إلى الله، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون؛ إذ ظلموا أنفسهم باقتراف الذنب، وظلموا أنفسهم لأنهم لم يبادروا بالتوبة إلى الله، فالذين يريدون الجنة يبادرون بالتوبة النصوح إلى الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. ورسولنا ﷺ يأمر أمته بالتوبة والاستغفار، فيقول ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»(١).

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا اقترفوا ذنباً بادروا بالتوبة إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله ﷻ وحده هو الذي يغفر الذنب وهو الذي يقبل التوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥]، فأهل الجنة علموا أن الله وحده هو الذي يغفر الذنب ويقبل التوبة مِنْ عباده فتابوا إلى الله.

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا تابوا إلى الله لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله يغفر الذنوب جميعاً، وأن الله يبدل السيئات حسنات، فمن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

كفر ثم تاب من بعد كفره تاب الله عليه، ومن أشرك ثم تاب من بعد شركه تاب الله عليه، ومن أكل الربا ثم تاب من أكل الربا تاب الله عليه، ومن زنا ثم تاب من الزنا تاب الله عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة**»[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

رابعاً: أهل الجنة إذا أذنبوا تابوا إلى الله لأنهم قد علموا أن الله يحب التوابين، وأن الله يفرح بالتائب إذا تاب إليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال ﷺ: «**لله أشدُ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عندهُ فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[2].

فيا أيها العاصي ما الذي يمنعك من التوبة؟ وكل منا يعرف ذنبه

---

(١) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/ ١٨٢)، مي: (٢٧٨٨). طص: (٢/ ٨٢)، حل: (٤/ ٣٠١)، [«ص. ج» (٤٣٣٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٧).

فماذا تنتظر؟! أتسوف؟! أتؤجل التوبة إلى الغد؟ أنسيت أن الموت يأتي بغتة؟ أنسيت أن أكثر صياح أهل النار من سوف، لقد كانوا يسوِّفون التوبة حتى خرجوا من الدنيا بدون توبة، فيا أيها العاصي إن تبت إلى الله أحبك، وإذا أحبك الله فلا يعذبك أبداً، يقول ﷺ: «**والله، إن الله لا يلقي حبيبه في النار**»(١). وإذا أحبك الله حببك إلى أهل الأرض، وإذا أحبك الله رعاك وأيدك ونصرك ووفقك، فإذا دعوته استجاب لك، وإذا استغفرته غفر لك، كما يقول في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه**»(٢).

خامساً: أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا إذا اذنبوا تابوا وأنابوا إلى الله؛ لأنهم قد علموا أن الموت يأتي بغتة، وأن باب التوبة يغلق عند الموت، فإن الإنسان إذا نام على فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم، وتاب حينئذٍ ردت توبته، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨]، كم من الناس لا ينتبه إلا عند الموت، يقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، فيقال له: كلا، ورسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٣) والعاقل من اتعظ بغيره.

● فهذا فرعون علا في الأرض، وكان من المفسدين وتاب عند الموت وقال: إني تبت الآن، فالله ﷻ وبخه ورد عليه توبته وقال له: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾ [يونس: ٩١].

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ١٠٤)، ك: (١/ ١٢٦)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٢٢)، [«ص. ج» (٧٠٩٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٧).

(٣) **حسن**: ت: (٣٥٣٧)، هـ: (٤٢٥٣)، حم: (٢/ ١٣٢)، حب: (٦٢٨)، ك: (٤/ ٢٨٦)، ع: (٩/ ٤٦٢)، ش: (٧/ ١٧٣)، هب: (٥/ ٣٩٥)، [«ص. ج» (١٩٠٣)].

فيا أيها العاصي، إذا بقيت على معصيتك حتى ينزل بك ملك الموت لتقول عندها: تبت إلى الله، فسيقال لك: الآن يا آكل الربا وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين! الآن أيها العاق لوالديك! الآن أيها التارك للصلاة! الآن أيها المضيع لحكم الله! آبن آدم الآن فتب، فما الذي يمنعك من أن تتوب قبل الموت؟!

عباد الله! المعصية وإن كانت صغيرة فالإصرار عليها يجعلها كبيرة، فما بالك بالذي يدخن ويعلم أن الدخان حرام ولم يفكر يوماً في التوبة، وكم من الناس من يحلق لحيته ويعلم أن حلق اللحية حرام ولم يفكر يوماً في التوبة، وكم من الناس يسمح لابنته وزوجته بالتبرج ويعلم أن التبرج حرام ولم يفكر يوماً في التوبة؟!.

سادساً: أهل الجنة وهم في الدنيا كانوا إذا اقترفوا ذنباً تابوا إلى الله لأنهم قد علموا وأيقنوا أن باب التوبة سيغلق إذا طلعت الشمس من مغربها، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ويقول ﷺ: «**إن الله** ﷻ **يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[١]، فإن طلعت الشمس من مغربها سُكرت أبواب التوبة، وعندها يندم العاصي الذي لم يتب ويقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

فيا إخوة الإسلام! من أراد الجنة فعليه أن يبادر بالتوبة إلى الله قبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها، التوبة النصوح، فهم إذا اقترفوا ذنباً أو وقعوا في معصية

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

بادروا بالتوبة والرجوع إلى الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها ولكن على التائب أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً.

• والتوبة النصوح المقبولة عند الله ﷻ هي التي تتوفر فيها هذه الشروط:

الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب، فكم من الناس من يأكل الربا ويقول: أستغفر الله، ويحافظ على الصلاة، ومع ذلك يُصِرُ على أكل الربا، وكم من المتبرجات من تُصِرُ على التبرج وتستغفر ربها، فهذه توبة الكذابين، لكن يا آكل الربا! أترك الربا، ويا أيتها المتبرجة! أتركي التبرج.

الشرط الثاني: الندم على فعل الذنب.

الشرط الثالث: العزم على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى.

الشرط الرابع: أن تكون التوبة قبل الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها، هذه الشروط إذا كان الذنب بينك وبين الله ﷻ، أما إذا كان الذنب بينك وبين آدمي فعليك الالتزام بهذه الشروط ثم تضيف إليها شرطاً آخر وهو:

الشرط الخامس: وهو أن تستسمح هذا الذي وقعت في عرضه، أو أكلت ماله، أو ظلمته، تستسمحه قبل الموت، وقبل يوم القيامة، وقبل أن لا يكون درهم ولا دينار وإنما هي الحسنات والسيئات.

• وعلى التائب أن يغير البيئة التي كان يعيش فيها قبل التوبة إلى بيئة صالحة، فالبيئة الفاسدة تؤثر على التائب، وقرناء السوء يؤثرون على التائب، فكم من تائب انتكس على أم رأسه إلى المعاصي بسبب البيئة السيئة، وبسبب قرناء السوء، اسمع واتعظ بهذا البائس الذي قال الله عنه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

• واعتبر من هذا الرجل الذي قتل مائة نفس ثم ذهب إلى العالِم، فقال العالِم له: ومن يحول بينك وبين التوبة؟! ولكنه أمره بتغيير البيئة فقال له: لا ترجع إلى أرضك وأهلك؛ لأنهم أهل سوء، ولكن اذهب إلى القرية الفلانية؛ فإن فيها قوماً صالحين فاعبد الله معهم.

• ثم أيها التائب، عليك أن تكثر من الأعمال الصالحة لِتمحو بذلكَ ما مضى من السيئات، فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

• أيها التائب عليك بدروس العلم الشرعي المقامة في بيوت الله، إذا أردت الثبات على التوبة، وإذا أردت أن تزداد حسناتٍ على ما أنت فيه من توفيقٍ في الأعمال الصالحة، وإذا أردت أن تُقبل على الله، وإذا أردت أن تفرق بين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان، وبين السنة والبدعة، وبين الحلال والحرام، فعليك بدروس العلم المُقامه في بيوت الله لتتعلم دينك، فالمساجدُ بيئة صالحة، فيها قرناء صالحون، وفيها الدروس التي تتعلم فيها الحلال والحرام فتحفك الملائكة وتنزل عليك السكينة، ويذكرك الله في الملأ الأعلى.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل

❊ ❊ ❊

١٦٥

صفات أهل الجنة

١٦ ـ الخوف من النار

عباد الله! بالعقيدة الصحيحة يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحيا حياة طيبة، وفي الآخرة يفوز بجنة عرضها السمٰوات والأرض، ولذلك يا عباد الله فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السادسة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الخوف من النار».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخافون من النار، ومن عذاب النار، فدفعهم خوفهم ذلك إلى أن هربوا من هذه النار بفعل الطاعات وبالابتعاد عن المعاصي، أخبرنا بذلك ربنا في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ إلى أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ إلى أن قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٧].

عباد الله! أهل الجنة كانوا ـ وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخافون من النار ومن عذاب النار، ولمّا خافوها هربوا منها ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! هنا سؤال مهم نجيب عليه ألا وهو:

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخافون من النار ومن عذابها؟

عباد الله! الذين يريدون الجنة لا بُدَّ أن يخافوا من النار، وما دخل أحد الجنة إلا وقد خاف من النار، فمن خاف من النار هرب إلى الجنة، وقام بالأعمال الصالحة، وابتعد عن المعاصي، أما الذين أمنوا مكر الله، أمّا الذين لم يخافوا من النار فأولئك هم القوم الخاسرون.

عباد الله! أهل الجنة وهم في الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يخافون من النار ومن عذابها:

أولاً: لأن الله ﷻ خوّفهم من النار وحذرهم منها، يقول الله ﷻ محذراً عباده المؤمنين من النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

يا أيها الذين آمنوا! يا من تصلي، يا من تصوم، يا من تبر والديك، يا من تقوم بالطاعات، اتقِ الله وخلص نفسك وأولادك من هذه النار، فالذي يأكل الربا ويطعم أولاده من الربا هل ينجي نفسه وأهله من النار؟ الذي يأتي بوسائل الفساد إلى بيته ليفسد نفسه وأهله وأولاده هل ينجي نفسه وأهله من النار؟ الذي يسمح لابنته ولزوجته أن تخرج متبرجة هل ينجي نفسه أو ينجيهم من النار؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ

ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٣ ـ ١٦].

إذاً فالله ﷻ يخوِّف عباده من النار، فإذا رأيتم الناس يسارعون إلى معصية الله كما نرى اليوم فاعلموا أنهم لا يخافون من النار، ولا يخافون من الله.

• ورسولنا ﷺ كذلك كان يخوّف أمته من النار، يقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(١)، أي: احذروا هذه النار وخلِّصوا أنفسكم من عذابها ولو بشق تمرة تتصدقوا بها ابتغاء وجه الله، ويقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٢).

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبُلُّها ببلالها**»(٣).

ويقول ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(٤)، ويقول ﷺ: «**ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام**

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦). (٢) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).
(٣) **صحيح**: م: (٢٠٤). (٤) **صحيح**: م: (٤٢٦).

طالبها»[1]، فأهل الجنة هم من خوفهم الله من النار، وحذرهم منها فخافوا، أنذرهم النار فاستعدوا للنجاة منها ولدخول الجنة.

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ خافوا من النار؛ لأن عذابها أليم لا يقدر عليه أحد، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٨ ـ ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

ابن آدم! أتقدر على هذا العذاب؟ يا آكل الربا، يا أيها العاق لوالديك، يا تارك الصلاة، يا من تفسد في الأرض أتتحمل هذا العذاب؟ يقول رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٥٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦].

وقف رجل على شاطئ البحر فسمع رجلاً آخر يتلو هذه السورة فلما

---

(١) **حسن:** ت: (٢٦٠١)، طس: (٢/ ١٧٧)، هب: (١/ ٣٥٠)، حل: (٨/ ١٧٨)، [«ص. ج» (٥٦٢٢)].

بلغ القارىء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤﴾، أخذ ذاك الرجل يتمايل، فلما أكمل القارىء قوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] وقع الرجل مغشياً عليه في الماء فمات.

عباد الله! اعلموا أن تارك الصلاة مجرم، وآكل الربا مجرم، والعاق لوالديه مجرم، والنمام مجرم، والذي يغتاب الناس مجرم، والذي يفسد بين الناس مجرم، وشارب الخمر مجرم، ولا تنسوا قوله ـ تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

ويقول ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله..**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغهُ كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً؛ وإنه لأهونهم عذاباً**»(٢). فهل تقدر على هذا العذاب يا ابن آدم؟ إذاً أهل الجنة كانوا يخافون من النار لأن عذابها أليم.

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ خافوا من النار، لما أخبرهم الله عن صياح أهلها فيها، فقد أخبرنا الله ﷻ عن صياح أهل النار وماذا يقولون فيها، وماذا يطلبون، فهل ترضى يا ابن آدم

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٧).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٩٣)، م: (٢١٣).

أن تكون من هؤلاء؟ أنت الآن في دار العمل وتستطيع أن تنجّي نفسك من هذا العذاب، فاسمع إلى أهل النار واتعظ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٧ ـ ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١١، ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

فيا عباد الله! هذه هي النار التي خافها أهل الجنة وهربوا منها، ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها الخوف من النار، واعلم أن أهل الجنة ـ في هذه الدنيا ـ لما خافوا من النار ومن عذابها وأرادوا النجاة من النار ومن عذابها الأليم كان من حالهم ما يلي:

أولاً: أنهم فروا إلى الله والتجئوا إلى الله، ودعوا الله عز وجل بالليل والنهار أن ينجّيهم من النار، وقد سجل الله لنا ذلك، فقال تعالى في

وصف أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقال تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٢ ـ ١٩٥].

وكان ﷺ يطلب في دعائه أن ينجيه الله ﷻ من النار فكان يقول: «**اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل**»(١)، وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»(٢).

ثانياً: سارعوا إلى الله ﷻ بفعل الطاعات، فقاموا الليل، وصاموا النهار، وأدوا الفرائض، وتقربوا إلى الله بالنوافل لينجوا بأنفسهم من النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

ثالثاً: ابتعدُوا عن المعاصي، وفي ذلك يقول رب العزة لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ١٣]، وتذكروا

---

(١) **صحيح**: حب: (٨٦٩)، هـ: (٣٨٤٦)، حم: (٦/١٤٦)، خد: (٦٣٩)، [«ص. هـ» (٣١١٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٢٦)، م: (٢٦٩٠).

هؤلاء السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فإن منهم: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**»[١].

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة،
ونعوذ بك من سخطك والنار

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).



صفات أهل الجنة

١٧ ـ الاعتدال في الإنفاق

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السابعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الاعتدال في الإنفاق».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا، ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواماً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

عباد الله! المال نعمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

• المال هو عصب الحياة؛ إذ لا يستغني إنسان في هذه الدنيا عن المال، ففيه خير عظيم، ولذلك سَمَّى الله ﷻ المال في كتابه خيراً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨]، أي: إنه لحب المال لشديد، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] ـ أي: إن ترك مالاً ـ فالمال خير ونعمة، والإنسان بطبيعته يحب المال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر: ٢٠]، والناس في هذا المال على أقسام:

قسم عصى الله بهذا المال، وحارب الله بهذا المال، فمنهم من أكل الربا، فالمال مال الله وهم يأخذونه ويرابون به ويعصون الله ﷻ، والله قد حرم عليهم الربا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستٍ وثلاثين زنية**»(١)، وقال ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»(٢).

وبعد ذلك فهذا القسم من الناس أعلن الحرب على الله بما أعطاه من مال، فأكلوا به الربا، وتعاملوا بالربا، وأعطوا أموالهم بالفائدة كما يزعمون فعاقبهم الله ﷻ:

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، هب: (٤/ ٣٩٣)، طس: (٣/ ١٢٤)، [«ص. ج» (٣٣٧٥)].

(٢) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٤)، [«ص. ج» (٣٥٣٧)].

أولاً: بأن محق هذا المال من أيديهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وهذا سيكون إما عاجلاً وإما آجلاً.

ثانياً: بأن أعلن الحرب على أكلة الربا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، فحاربهم الله في أموالهم، وحاربهم في صحتهم وأولادهم، ونسائهم وسعادتهم، فتجد أكلة الربا لا يعرفون طعم الحياة، ولا يعرفون طعم الصحة لأن الله أعطاهم المال وهو نعمة من الله عليهم لكنهم حاربوا الله بهذا المال فأعلن الله الحرب عليهم.

● ومن هذا القسم الذي حارب الله بماله أولئك الذين بغوا على الناس بأموالهم كقارون فإنه كان من قوم موسى فبغى عليهم واعتدى عليهم، لِمَ؟ لكثرة ماله؛ فعاقبه الله ﷻ بأن خسف به وبماله الأرض فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

● ومن هذا القسم أيضاً من تكبر على الله بماله ونظر إلى الفقراء نظرة احتقار وازدراء، فيا أيها المسكين اعتبر بصاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف، فإنه لما تكبر على صاحبه بماله أباد الله ﷻ ما في يديه من مال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ ـ فما كانت النتيجة؟ ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٣٤ ـ ٤٢].

وقسم ثان: وهم هؤلاء الذين بخلوا بمالهم، ولم يعطوا حق الله في هذا المال، ولم يعطوا حق عباد الله في هذا المال، بخلوا بأموالهم حتى أن منهم من بخل على نفسه وعلى أولاده، وهؤلاء هم من أصيبوا بمرض

البخل، فلا همَّ لهم إلا أن يجمعوا المال، لا هم لهم إلا أن تكثر معهم الألوف، وهؤلاء يعذبون في الدنيا بجمع المال، ويعذبون عند الموت بفراق هذا المال؛ لأنه عزيز عليهم، ويعذبون يوم القيامة إذا وقفوا بين يدي الله وهو يسألهم عن هذا المال.

وقسم ثالث: وهم الذين أسرفوا أموالهم ذات اليمين وذات الشمال، في الملذات والشهوات كما نرى كثيراً منهم اليوم حيث يأتيهم المال فينفقونه فيما طاب ولذ، لا يعرفون الادخار ولا يعرفون كيف ينفقون أموالهم، فترى عاقبة الكثير منهم أنه سكن السجون وقعد ملوماً محسوراً.

أما القسم الرابع: ـ ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ـ فهم لا يسرفون ولا يعصون الله بأموالهم ولا يبخلون، ولكنهم ينفقون أموالهم في مرضاة الله بالليل والنهار سراً وعلانية كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وهؤلاء ينفقون أموالهم فلا يسرفون ولا يبخلون ولكنهم بين ذلك قواماً كما سمعتم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، اعتدال في إنفاق الأموال، وسطية يحبها الله بلا إسراف ولا تقتير.

إخوة الإسلام! **وهنا سؤال مهم وهو: كيف استطاع أهل الجنة وهم في هذه الدنيا أن ينفقوا أموالهم دون أن يسرفوا ولا أن يقتروا؟**

الجواب ـ أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله لا يحب المسرفين، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

ثانياً: لأنهم كانوا ينفقون أموالهم في هذه الدنيا ابتغاء مرضاة الله، وابتعدوا كذلك عن الإسراف؛ لأنهم علموا أن الله لا يهدي المسرفين إلى طرق الحق والصواب، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨].

ثالثاً: ابتعدوا عن الإسراف لأنهم علموا أنه يؤدي إلى الترف، والترف سبب لدخول النار، فأهل النار هم من الذين كانوا مترفين في هذه الدنيا ولا يعبدون الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ۝٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ۝٤٥﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٥]، انظر إلى المعاصي من أين تخرج؟ من المترفين، من أصحاب الأموال الذين ينفقون أموالهم في معصية الله إلا من رحم ربي.

الترف سبب لهلاك الفرد والأمة والشعوب، وسبب لهلاك القرى والبلاد، فكم من بلدة وقرية ودولة أترفت فعصت ربها فأبادها الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝١٦﴾ [الإسراء: ١٦].

إذن الإسراف يؤدي إلى الترف، والترف يمنع صاحبه من قبول الحق، والمترفون في كل زمان ومكان هم من كانوا يقفون في وجه الرسل، وهم الذين يقفون في وجه الإسلام.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ: ٣٥ ـ ٣٧]. وهذا نراه بأم أعيينا اليوم فإنهم لا يريدون الإسلام ولا الصلاة، لا يريدون الحجاب، لا يريدون الحكم بما أنزل الله، لا يريدون عدم الاختلاط، لا

يريدون ما أراده الله، بل يريدون الملذات والشهوات، والنار حفت بالشهوات والملذات، والجنة حفت بالمكاره، فهم لا يريدون المكاره بل يريدون ما تشتهي أنفسهم، أي: يطلبون ما حفت به جهنم، فإياك إياك أيها الغني أن تظن أَنك تتقرب إلى الله بمالك وأنت تعصي الله بهذا المال، أنفق هذا المال في مرضاة الله تنتفع به يوم القيامة وتتقرب به إلى الله.

رابعاً: كذلك فإنهم لم يبخلوا، لم؟ لأنهم علموا أنه لا يليق بالمؤمن أن يكون بخيلاً.

فهم تركوا البخل لأنهم علموا أنه شر على صاحبه في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

تركوا البخل؛ لأنهم علموا أن البخل سبب للهلاك. يقول ﷺ: «**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات**» ـ ثم قال ﷺ ـ: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١). شح مطاع ـ أي: رجل مريض بمرض الشح وهو يطيع هذا المرض فيؤدي بنفسه إلى الهلاك، ويقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»(٢).

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها أنهم إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواماً.

عباد الله! انظروا معي اليوم إلى كثير من المسلمين نظرة صادقة لتروا كيف أنهم يُسرفون بأموالهم؟ انظروا إلى ولائم المسلمين وإلى الطعام الذي يلقى في الحاويات، وانظروا معي إلى أعراس المسلمين

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص. ج» (٣٠٤٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

اليوم، وإلى الإسراف الذي يقع في هذه الأعراس! ابن آدم، اعلم أنك إذا أكلت وشربت من الحلال وأسرفت فأنت من المسرفين، فما بالنا بإنفاق أو بإسراف المال في الحرام؟ فكثير من الأموال تنفق في الأعراس على الخمر، وعلى الدخان، وعلى الراقصات وعلى المغنيات وعلى أنغام الموسيقى وعلى التصوير، وكل ذلك فيه معصية لله ولعل المسكين يفتخر بأنه أنفق كذا وكذا من الألوف في عرس ولده ونسي أن هذا إسراف وحرام! ونسي أن الله لا يحب المسرفين! ونسي أن الله لا يهدي المسرفين إلى الحق! ونسي أن الإسراف سبب إلى الترف، وأن الترف سبب للهلاك!

فيا إخوة الإسلام! اتقوا الله، أنسيتم أنكم ستموتون؟ أنسيتم إنكم ستقفون بين يدي الجبار يوم القيامة يسألكم عن هذا المال؟ يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع** ـ وذكر منها ـ: **وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»(١)، فيا من أنفقت الألوف على الدخان، ويا من أنفقت الألوف على الخمر، وعلى الراقصات والمغنيات، ماذا عساك تقول لربك يوم القيامة؟ أعدّ من الآن لهذا السؤال جواباً، وإلا فعليك أن تتوب قبل أن ينزل بك ملك الموت.

انظروا يا عباد الله إلى كثير من هؤلاء الذين ينفقون أموالهم في الحرام لترونهم يبخلون بأموالهم عن الزكاة وعن الصدقات! حتى أنك ترى الواحد منهم لا يخرج ديناراً واحداً في بناء مسجد، أو يتصدق بدينار واحد على المساكين، لقد بخل بماله عن كل خير!، فنقول له: يا جامعاً للمال ستترك هذا المال لمن بعدك، فإن كانوا عصاة فسيشربون به الخمر والدخان وسينفقونه في السهرات الحمراء، وأنت ستكون في قبرك يا عبد الله تعذب على هذا المال وتُسْأَل عنه يوم القيامة فيا ابن آدم:

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، طب: (١١/ ١٠٢)، طس: (٥/ ٧٤)، حل: (١٠/ ٢٣٢)، ع: (١٣/ ٣٥١)، [«ص. ج» (٧٣٠٠)].

لا تـجـمـعْ مـن الـدنـيـا كـثـيـراً فـإن الـمـال يُـجـمـعُ لـلـنـفـادِ
أتـرضـى أن تـكـون رفـيـق قـومٍ لـهـم زادٌ وأنـت بـغـيـر زادِ

فاحذروا يا عباد الله، فإن الكثير من الناس ـ وممن يصلون ـ تراه إذا أخرج خمسة دنانير ليتصدق على الفقراء أو ليساهم في بناء مسجد تراه متردداً وكأنك تأخذ عينه من رأسه، مع أنه إذا قالت له زوجته اشتري لي (ستالايت) فإنك تراه يهرول ويقترض من الحرام ويستدين ليأتي لها بجهاز المفسديون أو الفيديو، أما أن ينفق في سبيل الله فتكاد لا ترجو منه ذلك!.

يا ابن آدم! الموت يأتيك بغتة وإذا خرجت من هذه الدنيا فستقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، فيقال لك: كلا، فيا أيها العاقل، يا من تريد الجنة، لا تنسى أن الله أعطاك مالاً في هذه الدنيا فإذا أنفقته فلا تسرف ولا تقتر وكن بين ذلك قواماً، فهذه صفة من صفات أهل الجنة، نسأل الله أن يرزقنا إياها.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊



صفات أهل الجنة

١٨ ـ التوحيد وعدم الشرك

عباد الله! بالعقيدة الصحيحة يفوز الإنسان بجنة عرضها السموات والأرض، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن العقيدة الصحيحة، لقد وصل بنا الحديث عن العقيدة إلى صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثامنة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التوحيد وعدم الشرك».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يوحدون الله ﷻ ولا يشركون به شيئاً، يوحدون الله ﷻ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، فإذا صلوا لا يصلون إلا لله، وإذا دعوا لا يدعون إلا الله، وإذ نذروا لا ينذرون إلا لله، يريدون بأعمالهم وجه الله والجنة.

وقد أخبرنا الله ﷻ عنهم في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى أن قال رب العزة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

ويصف ربنا جل وعلا عباده أولئك في موضع آخر بأنهم كانوا في هذه الدنيا لا يشركون به شيئاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

***عباد الله!* إذاً لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا يوحّدون الله ﷻ ولا يشركون به شيئاً؟**

الجواب ـ أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله خلقهم في هذه الدنيا ليوحدوه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعلموا وأيقنوا أن الله ﷻ أرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى التوحيد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وعلموا أنه ما من نبي جاء لقومه إلا وهو يدعوهم إلى توحيد الله ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقد ٱستجاب أهل الجنة بعد أن أيقنوا أن الله ﷻ أمرهم في كتابه بأن يوحدوه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحّدوا الله ﷻ ولم يشركوا به شيئاً لأنهم قد علموا وأيقنوا أن حق الله على العباد أن يوحّدوه ولا يشركوا به شيئاً، يقول ﷺ: «**يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**» قلت: ـ يعني: معاذ رضي الله عنه ـ الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟

قال: «**لا تبشرهم فيتلوا**»[1].

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله ﷻ ولم يشركوا به شيئاً لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الشرك حرام، يقول الله ﷻ: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [الأنعام: ١٥١].

• فهم قد عبدوا الله ووحَّدوه وابتعدوا عن الشرك لأن الشرك سبب لسكنى جهنم، وما أعد الله ﷻ النار إلا للمشركين والكفرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾**﴾ [البينة: ٦].

رابعاً: أهل الجنة وحَّدوا الله ﷻ ولم يشركوا به شيئاً في هذه الدنيا؛ لأن الشرك يحبط الأعمال، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾**﴾ [الزمر: ٦٥].

خامساً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله ﷻ؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الشرك ظلم عظيم، قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾**﴾ [لقمان: ١٣].

سادساً: أهل الجنة وحَّدوا الله ولم يشركوا به شيئاً؛ لأنهم علموا أن الشرك ذنب لا يغفره الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨]، ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٠١)، م: (٣٠).

لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

سابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً لأنهم علموا أن الشرك أعظم الذنوب، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: «أيُ الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»(٢).

ثامناً: لأنهم علموا أنَّ الشرك من أكبر الكبائر، قال ﷺ: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»(٣).

تاسعاً: لأنهم علموا أنَّ الشرك من الموبقات قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» ـ أي: المهلكات، وذكر منها ـ «الشرك بالله»(٤).

عاشراً: لأنهم علموا أنَّ الشرك سبب لتفريق الأمة، نعم، فإن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا لما وحَّدوا الله عز وجل ألف بين قلوبهم، وجعلهم أمة واحدة، ونحن إذا أشركنا وفسدت عقيدتنا كنا فرقاً وأحزاباً كما هو واقعنا اليوم كل حزب بما لديهم فرحون، فهذه الفرقة وهذه الحزبية التي بين المسلمين سببها هو فساد العقيدة، يقول الله عز وجل محذراً أمة الإسلام: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]. فيا معشر الأحزاب في كل مكان! هل من عودة إلى العقيدة السليمة؟ فالاتحاد والاعتصام لا يكون إلا بالتوحيد، والتفرق والحزبية يكون بالشرك وفساد العقيدة.

حادي عشر: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله عز وجل وابتعدوا

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٠)، حل: (٢/ ٢٣١)، طس: (٤/ ٣١٥)، [«ص. غ. هـ» (١٦١٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

عن الشرك؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن التمكين والنصر على الأعداء في هذه الدنيا لا يكون إلا بالعقيدة الصحيحة ولا يكون بالعقيدة الفاسدة أبداً، يقول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]، فالعجب كل العجب ممن يتكلمون عن الجهاد ويتكلمون عن النصر لا يهتمون بالعقيدة ولا بتربية الأمة على التوحيد الخالص! لقد نسوا أن الأنبياء جميعاً بدءوا بذلك. فالواجب علينا أن نبدأ بالدعوة إلى التوحيد الخالص، أن نبدأ بتربية الأمة على العقيدة السليمة. فإذا فعلنا ذلك نكون قد نصرنا الله في أنفسنا وإذا نصرنا الله نصرنا الله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها التوحيد وعدم الشرك. وانظروا معي عباد الله إلى أحوال المسلمين اليوم تراهم يصلون ويحلفون بغير الله، ومنهم الذين يصلون ويدعون غير الله، ومنهم الذين يذهبون إلى السحرة والعرافين والكهان والمشعوذين، وهذا إن دل فإنما يدل على فساد العقيدة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أما الذين يريدون الجنة فإنهم إذا حلفوا حلفوا بالله لأن الحلف عبادة والرسول ﷺ يقول: «**من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله**»[(١)]، وقال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[(٢)]، فمن يريدون الجنة لا يذهبون إلى السحرة والمشعوذين أبداً لأنه لا يليق بمؤمن يحمل العقيدة الصحيحة أن يُرى ذاهباً إلى المشعوذين والسحرة، فلا يجتمع أبداً توحيد وشرك فكيف توحد الله في الصلاة ثم تشرك بالله في الدعاء، بل عليك بالتوحيد الخالص في كل شيء، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٦٢٤)، م: (١٦٤٦).

(٢) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، حب (٤٣٥٨)، ك: (٤/ ٣٣٠)، لس: (١٨٩٦)، هق: (١٠/ ٢٩)، [«ص. ج» (٦٢٠٤)].

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. من يريدون الجنة لا يذهبون إلى السحرة ولا المشعوذين لأن الرسول ﷺ أخبرهم بأن «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(١)، ويقول ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٢).

أمة الإسلام! كم من المسلمين اليوم يهرولون إلى الكهان وإلى المشعوذين وإلى العرافين؟ كم من المسلمين اليوم من يعتقد أن الشفاء عندهم؟ لكن من يريدون الجنة إذا نزل بهم الضر علموا وأيقنوا أن لا كاشف له إلا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٧]. لكن حالنا في هذا الزمان يقول: إذا مسنا الضر فلا كاشف له إلا السحرة والمشعوذون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أمة الإسلام! هذا هو القرآن بين أيدينا، يقول ﷻ فيه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، أما قال لكم ربكم: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهل ستدعو الله يا عبد الله أم ستذهب وتهرول إلى السحرة والمشعوذين؟ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

الذين يريدون الجنة إذا أرادوا الولد أخذوا بالأسباب الشرعية وتوكلوا على الله ودعوا الله ﷯: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، لس: (٣٨٢)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، [«ص. ج» (٥٩٣٩)].

طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨]، فهم يطلبون من الله.

لكن اليوم يا عباد الله من تزوج ولم ينجب تراه يهرول إلى المشعوذين والكهنة والعرافين يظن الجاهل أنهم يقدرون على إعطائه الولد، أما تقرءون القرآن يا عباد الله؟! ولكن كيف يُقْرأُ القرآن وقد امتلأت البيوت بالمفسديون و(الستالايت)؟! هل أصبحنا لا هم لنا إلا الدنيا واللهو؟ أفلا نقرأ القرآن؟ أفلا نقرأ قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. عليم بأحوال عباده قدير على أن يعطي هذا، ويمنع ذاك.

إذاً أهل الجنة كانوا يوحدون الله في كل عمل وقول، إذا حلفوا حلفوا بالله، وإذا دعوا دعوا الله، وإذا طلبوا شيئاً طلبوا من الله عز وجل، وإذا نذروا نذروا لله، وإذا ذبحوا ذبحوا لله، لم؟ لأنهم قد علموا أن الله عز وجل قد أوجدهم في هذه الدنيا ليوحدوه وحده عز وجل.

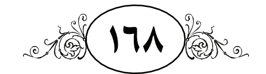
قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: إلا ليوحدون.

اسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن ينفعنا جميعاً بما قلنا

وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

❁ ❁ ❁



١٦٨

صفات أهل الجنة

١٩ ـ (أ) صيانة الأَعراض وحفظ الفروج من فاحشة الزنا

عباد الله! لا زلنا يا عباد الله في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة التاسعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «صيانة الأعراض وحفظ الفروج من فاحشة الزنا».**

عباد الله! الاعتداء على الأعراض حرام وهو كالاعتداء على الأموال بالسرقة تماماً، بل هو كالاعتداء على الأنفس بالقتل وكل ذلك حرام، يقول ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»(١)، وقال ﷺ في خطبة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا**». فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: «**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**»(٢).

إخوة الإسلام! ولقد أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا لا يعتدون على أعراض المسلمين، وكانوا يحفظون فروجهم من الوقوع في فاحشة الزنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩).

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ إلى أن قال ربنا جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٥].

كما ويقول ربنا جل وعلا في سورة أخرى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

وقال ربنا جل وعلا في سورة أخرى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣٥].

عباد الله! هؤلاء هم أهل الجنة الذين كانوا في الدنيا ـ في دار العمل ـ لا يعتدون على أعراض المسلمين، وكانوا يحفظون فروجهم من الوقوع في فاحشة الزنا.

***عباد الله!* ونتساءل هنا لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحفظون فروجهم من الوقوع في فاحشة الزنا؟**

الجواب ـ أولاً: لأنهم استجابوا لأمر الله إياهم بحفظ الفرج، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(١).

ثانياً: لأنهم علموا أن الله ﷻ حرم الزنا، بل وحرَّم الاقتراب من الزنا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، فالزنا فاحشة والله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فحرَّم الله ﷻ على المسلمين أن يقتربوا من فاحشة الزنا، فالنظر إلى المرأة الأجنبية عنك اقتراب من الزنا والخلوة بالمرأة ومصافحتها اقتراب من الزنا، وتبرج المرأة اقتراب من الزنا، لذلك لما كان هذا السبيل من أَسوأ السبل فقد عزل اللهُ ﷻ الزناة عن المجتمع المسلم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

فيحرم على المسلم أن يتزوج من زانية، ويحرم على المسلمة أن تتزوج من زانٍ؛ لأن المسلم إذا تزوج من امرأة زانية وهو يعلم أنها زانية، وأنها ما زالت تزني فإنه سيدخل على بيته العار، وسيقر المنكر في أهله فيكون ديوثاً، والديوث قد حرَّم الله عليه الجنة، وكذلك المرأة المسلمة لا

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

يجوز لها أن تتزوج من رجل مشهور بين الناس بالزنا لأنها إن رضيت به فستكون على دينه يوماً ما، وستكون مثله زانية وستدب فيها الأمراض التي لا يعلمها إلا الله، فلا يجوز للمسلم أن يتزوج بامرأة زانية إلا أن تتوب توبة نصوحاً، ولا يجوز لمسلمة أن تتزوج من رجل زانٍ إلا أن يتوب توبة نصوحاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

ثالثاً: أهل الجنة ابتعدوا عن فاحشة الزنا لأنهم علموا أنه من أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك والقتل، يقول ابن مسعود ﷺ: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نِداً وهو خلقك»، قال: قلت: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يَطعَمَ معك» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تُزاني حليلة جارك»[١].

رابعاً: أهل الجنة تركوا الزنا وابتعدوا عنه؛ لأنهم قد علموا أنه سبب لخراب الديار وسببٌ لسواد الوجوه، وسبب لطأطأة الرؤوس العالية، فمن وقع الزنا في بيته لا يُرفع له رأس أبداً، فلقد اسودَّ وجهه فلا يستطيع أن يتكلم بين الناس، ولذلك يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[٢]، وأي عذاب بعد سواد الوجوه هذا؟! وأي عذاب بعد طأطأة الرؤوس؟! وأي عذاب بعد أن تخرس الألسنة فلا تتكلم أبداً؟!

خامساً: أهل الجنة ابتعدوا عن الوقوع في فاحشة الزنا؛ لأنهم قد علموا أن الزنا سبب لانتشار الأمراض الخطيرة التي لم نسمع بها من قبل. يقول ﷺ: «**يا معشر المهاجرين! خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تُدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين**

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).

(٢) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ص. ج» (٦٧٩)].